

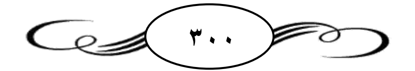
الأحرف السبعة

حقائق ، وشبهات ، وردود

إعداد

د شعبان محمد عطية

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بالكلية



الأحرف السبعة حقائق شبهات وردود

شعبان محمد عطية

قسم التفسير وعلوم القرآن

البريد الإلكتروني: shabanmhammed32@gmail.com

الملخص:

مما لا ريب فيه أن مسألة الأحرف السبعة تعد من كبريات المسائل التي تكلم فيها العديد من أكابر أهل العلم قديما وحديثا على اختلاف مدارسهم و مداركهم ، فمنهم المفسرون ، والقراء ، والمحدثون ، و الفقهاء ، كما تكلم فيها كذلك علماء الكلام ، وشراح الغريب ، وغيرهم ، ومنهم من أفردها بالتأليف ، وذلك لتعلق هذه المسألة بشأن هو من أعظم شئون القرآن الكريم، ومن هنا كثر القول في هذا الموضوع كثرة كادت أن تطمس حقيقته ، وفي هذا البحث حاولت أن أجمع شتات هذا الموضوع ، محاولا بفضل الله كشف حقيقته في ضوء ما وقفت عليه من الأدلة وأقوال الأئمة ،

ثم تتبعت شبهات المستشرقين مفندا لما جاء فيها من زيف وأوهام والله الموفق.

النتائج

- أن الأحرف السبعة منزلة بالوحي .

- ليس لسيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دخل في القرآن الكريم إلا مجرد البلاغ والبيان.

- أن الأحرف السبعة باقية إلى يومنا هذا.



– ما يردده المستشرقون وأذنابهم محض زيف وافتراء.

التوصيات

– ضرورة الاهتمام بالدراسات القرآنية ، وكشف النقاب عن روعة القرآن وبلاغته.

– العناية بكتب التراث ، والتنبيه على ما قد ورد فيها من روايات غير صحيحة.

– العمل على بيان وتوضيح الروايات التي قد يؤدي تركها بدون شرح وبيان إلى حدوث سوء فهم لدى البعض.

الكلمات المفتاحية: حقائق– سبعة – أحرف – شبهات– ردود.



The seven characters are facts of suspicion and responses

Shaaban Mohamed Attia

Department of Interpretation and Qur'anic Sciences

E-mail: shabanmhammed32@gmail.com

Abstract:

There is no doubt that the issue of the seven letters is one of the major issues in which many of the great scholars spoke old and new in different schools and their knowledge, including interpreters, readers, modernists, jurists, as well as speech scientists, The Poet of the Stranger, and others, some of whom have singled it out for writing, in order to attach this issue about is one of the greatest affairs of the Holy Quran, and hence the many words in this subject It almost obliterated his truth, and in this research I tried to gather the diaspora of this subject, trying, thanks to God, to reveal his truth in light of the evidence and the words of the imams,

Then I followed the suspicions of the orientalists, refuting the falsehood and illusions that came in them, and God is the conciliator.

Results

- The seven characters are inspired.

Our Master has no access to the Holy Quran except merely the communication and the statement.

- The seven characters remain to this day.

- What the Orientalists and their ears say is pure falsehood and slander.



Recommendations

- The need to pay attention to Qur'anic studies, and to reveal the splendor and eloquence of the Qur'an.

- Take care of heritage books, and alert them to the incorrect accounts they have contained.

Work to clarify and clarify accounts that may lead to misunderstandings among some.

Keywords: Facts, seven characters, suspicions, responses.

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد

فمما لا ريب فيه أن مسألة الأحرف السبعة تعد من كبريات المسائل التي تكلم فيها العديد من أكابر أهل العلم قديما وحديثا على اختلاف مدارسهم و مداركهم ، فمنهم المفسرون ، والقراء ، والمحدثون ، و الفقهاء ، كما تكلم فيها كذلك علماء الكلام ، وشراح الغريب ، وغيرهم ، ومنهم من أفردها بالتأليف ، وذلك لتعلق هذه المسألة بشأن هو من أعظم شئون القرآن الكريم ، ومن هنا كثر القول في هذا الموضوع كثرة كادت أن تطمس حقيقته ، وفي هذا البحث أحاول أن أجمع شتات هذا الموضوع ، محاولا بفضل الله أن أكشف عن حقيقته في ضوء ما وقفت عليه من الأدلة وأقوال الأئمة ، وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة ومطلبين وخاتمة

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن أهمية هذا الموضوع ، وأما المطلب الأول ، فقد اشتمل على :

١ – أدلة إنزال القرآن على الأحرف السبعة.

٢ – ما يستفاد من هذه الأدلة.

٣ – تحديد المفاهيم.

٤ – أقوال العلماء في المراد من الأحرف السبعة.

٥ – القول الراجح.



٦ – الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف.

وأما المطلب الثاني فيتضمن الحديث عن :

١– المصاحف العثمانية والأحرف السبعة.

٢ – شبهات وردود حول الأحرف السبعة.

وأما الخاتمة فقد تناولت فيها أهم نتائج البحث.

هذا ، وقد حاولت قدر جهدي تتبع كل ما كتب في هذه القضية ، وانتقيت أصحها وأدقها ، مع الرد على ما ينبغي أن يرد عليه منها ، وفي كل ذلك، قمت بعزو الأقوال إلى أصحابها ، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة ، وكذلك ترجمت للأعلام باستثناء مشاهير الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم.

وبالله التوفيق

المطلب الأول ، وقد اشتمل على :

١ – أدلة إنزال القرآن على الأحرف السبعة.

٢ – ما يستفاد من هذه الأدلة.

٣ — تحديد المفاهيم.

٤ — أقوال العلماء في المراد من الأحرف السبعة.

٥ — القول الراجح.

٦ — الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف.

١ – أدلة إنزال القرآن على الأحرف السبعة.

هذا الموضوع من أكثر الموضوعات التي شغلت الباحثين قديما وحديثا بدراسته ، نظرا لتعلقه بالنص القرآني ، ومع عظيم اهتمامهم به لم يصلوا إلى محل إجماع في المسألة ، بل هي محل نزاع ، ومما لا شك فيه أن السبيل الوحيد ، والطريق الذي لابد منه لدراسة هذا الموضوع الذي بلغ من الأهمية مبلغها ، ومن المكانة ذروتها ، هو الحديث الصحيح الثابت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، حيث لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، إلا لحسن الفهم، والترجيح بين الآراء ، بحيث نعرف الصواب من الخطأ . ولقد جاء هذا النقل للأحاديث من طرق مختلفة كثيرة ، وروي حديث نزول القرآن على سبعة أحرف عن جمع كبير من الصحابة، – رضي الله عنهم – منهم : عمر ، وعثمان ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبو هريرة ، وأبو بكرة ، وأبو جهم ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو طلحة الأنصاري ، وأبي بن كعب ، وزيد بن أرقم ، وسمرة بن جندب ، وسليمان بن صرد ، وعبدالرحمن بن عوف ، وعمر بن أبي سلمة ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وهشام بن حكيم ، وأنس ، وحذيفة ، وأم أيوب : امرأة أبي أيوب

الأنصاري – رضي الله عنهم أجمعين – ، فهؤلاء أحد وعشرون صحابيا ما منهم إلا رواه وحكاه.[1].

روى الحافظ أبو يعلى في مسنده الكبير أن عثمان – رضي الله عنه – قال يوما ، وهو على المنبر: أذكر الله رجلا سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف" لما قام. فقاموا حتى لم يحصوا ، فشهدوا أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم قال: "أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف[2]" فقال عثمان – رضي الله عنه – : وأنا أشهد معهم. وكأن هذا الجمع الكبير من الصحابة الكرام ، والذين يستحيل اتفاقهم على الكذب هو الذي جعل الإمام أبا عبيد بن سلام[3] يقول بتواتر هذا الحديث[1].

---

١ – الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٦٣/١ .بتصرف طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م ومناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ /محمد عبدالعظيم الزرقاني ١/ ٩٩ دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٦

٢ – أخرجه ابن أبي أسامة في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤١٣ – ١٩٩٢ ، وأخرج الإمام أحمد المرفوع من الحديث في مسنده – حديث رقم ٢١١٣٢ تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م. وقال محققه : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٣ – هو أبو عبيد القاسم بن سلام (بتشديد اللام) الإمام اللغوي الشافعي، المحدث، المفسر، المقرئ، الفقيه، المؤدب. صاحب التصانيف الكثيرة النافعة، ومن مصنفاته: الغريب المصنف، غريب الحديث، غريب القرآن ، والمذكر والمؤنث، و القراءات، ==



سهو الشيخ الزرقاني رحمه الله

قال الشيخ الزرقاني :

لكنك خبير بأن من شروط التواتر توافر جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب في كل طبقة من طبقات الرواية ، وهذا الشرط إذا كان موفورا هنا في طبقة الصحابة كما رأيت فليس بموفور لدينا في الطبقات المتأخرة[2].

قلت :ومع عظيم احترامي للشيخ الزرقاني ، وجليل تقديري له ، فإني أرى أن الشيخ قد جانبه الصواب في هذا القول ، وذلك لأمرين:

الأول : إذا كان العلماء قد اختلفوا حول العدد الذي يحصل بروايته التواتر ،على نحو ما حكى الإمام السيوطي حيث قال : أقله عشرة، وهو المختار، لأنه أول جموع الكثرة، وذلك لقوله تعالى: (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ)[3] ووصفها بالكمال، وقيل: اثنا عشر

==

كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب شواهد القرآن. توفي سنة أربع وعشرين ومائتين في مكة ، وقيل بالمدينة . ينظر : الكامل في التاريخ ٥/ ٢٥٩، تذكرة الحفاظ للذهبي ٦/٣، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م طبقات الحفاظ للسيوطي ص : ١٨٢. دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣

١ – فضائل القرآن لأبي القاسم عبيد بن سلام ص : ٣٣٩. دار ابن كثير دمشق – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ –١٩٩٥ م

٢ – مناهل العرفان ٩٩/١

٣ – سورة البقرة آية : ١٩٦

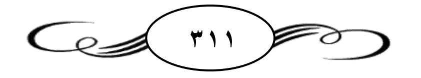


عـدة نقبـاء بنـي إسـرائيل. وقيـل: عشـرون . وقيـل: أربعـون. وقيـل: سـبعون عـدة أصـحاب موسـى – عليـه الصـلاة والسـلام. وقيـل: ثلاثمائـة وبضـعة عشـر، عـدة أصـحاب طـالوت وأهـل بـدر، لأن كـل مـا ذكـر مـن العـدد المـذكور فـي الأدلـة المـذكورة أفـاد العلـم[١].أقـول :إذا كـان المختـار فـي العـدد الـذي يتحقـق بـه التـواتر عشـرة، فكيـف يتصـور أن يمـر جيـل مـن أجيـال المسـلمين دون أن ينقـل القـرآن بأحرفـه السـبعة عـدد كهـذا الـذي ذكـر الإمـام السـيوطي. هـذا أمـر مستبعد إن لـم يكـن مستحيلا مـع كتـاب هـذا شـأنه ، ومـع أمـة عرفـت بعظـيم حبهـا ، وشـديد احترامهـا ، وعميـق تعلقهـا بهـذا الكتـاب العظيم.

الثـاني : إن هـذا الشـرط – أعنـي القـول بوجـود جمـع يحصـل بـه التـواتر فـي الأجيـال التاليـة للصـحابة – رضـي الله عـنهم – متحقـق بالفعـل ، بـل هـو الواقـع الـذي يؤكـده صـنيع الخليفـة الراشـد عثمـان بـن عفـان – رضـي الله عنـه – مـع جمـوع الصـحابة الكـرام مـن كتابـة مصـاحف متعـددة اشـتملت فـي مجموعهـا علـى مجمـوع الأحـرف السـبعة ، وقـد ثبـت أنـه قـد أرسـل إلـى كـل بلـد مصـحفا ،ومـع كـل مصـحف معلمـا ، يعلـم النـاس حرفـا تعلمـه مـن النبـي – صـلى الله عليـه وسـلم – أو تعلمـه عمـن تعلمـه منـه – صـلى الله عليـه وسـلم. فعـن أنـس بـن مالـك، أن حذيفـة بـن اليمـان قـدم علـى عثمـان بـن عفـان، فكـان يغـازي أهـل الشـام ، فـي فـتح أرمينيـة وأذربيجـان مـع أهـل

---

١ – تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ١٧٧/٢. مكتبة الرياض الحديثة الرياض. بدون تاريخ.



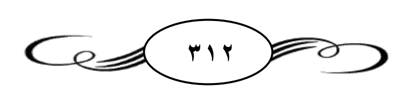
العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، وفيه :... إذا أنتم اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا. حتى إذا نسخت الصحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا[1]

أقول : مما لا شك فيه أن هذا الصحابي كان حريصا على تعليم الناس هذا الحرف ، وكذلك الأمة كانت عظيمة الحرص على تلقي هذا الكتاب بشغف وحرص، بحيث يمكن القول بأن العدد الذي يتحقق به التواتر كان متوفرا بدل المرة مرات، ولك أن تأخذ من واقعنا الحالي دليلا على ذلك ، فالحرف الذي نقرأ به في مصر معروف بأنه حرف ابن مسعود ، وعلي بن أبي طالب [2] –

---

١ – أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن – باب جمع القرآن حديث رقم ٤٧٠٢.طبعة دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ وأخرجه أبو يعلى في مسنده – مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه حديث رقم:٩٢، دار المأمون للتراث – دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٤ – ١٩٨٤ . والبيهقي في مقدمة شعب الإيمان – فصل في الإيمان بالقرآن المنزل حديث :١٦٩. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م. وفي السنن الكبرى في جماع أبواب صفة الصلاة – باب الدليل على أن ما جمعته مصاحف الصحابة رضي الله عنهم كله قرآن حديث رقم : ٢٣٧٤. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

٢ – قال الأستاذ / مفلح القضاة : وكان أهل مصر يقرءون برواية ورش حتى القرن الخامس الهجري، ثم انتشرت بينهم قراءة أبي عمرو البصري ويبدو أن الأمر استمر على هذا الحال زمنا بعد ذلك، حتى امتد حكم الدولة العثمانية للبلاد العربية، في ==



رضـي الله عنهمـا – انظـر كـم مـن النـاس يقـرأ بـه فـي كـل قريـة ، وفـي كـل محافظـة ، ولـك أيضـا أن تنظـر إلـى معاهـد القـراءات المنتشـرة فـي كـل مكـان ، والتـي يتخـرج منهـا كـل عـام أعـداد هائلـة تحفـظ – بفضـل الله تعـالى – القـرآن العظـيم بأحرفـه السـبعة ، وحتـى مـا شـذ مـن القـراءات يعرفونـه، ومـنهم مـن يـتعلم هـذا بالسـند المـدون فيـه أسـماء شـيوخه إلـى سـيدنا رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – ومـنهم مـن يهـتم بالروايـة دون الاهتمـام بالسـند ، كمـا هـو مشـاهد فـي واقـع كثيـر مـن النـاس، كـل هـذا يؤكـد علـى وجـود السـند المتـواتر المعلـوم شـيوخه مـن زماننـا هـذا إليـه – صـلى الله عليـه وسـلم – ولـو أننـا قمنـا بحصـر مـن معهـم سـند متصـل فـي هـذا الشـأن لتبـين لنـا أن هـذه الأعـداد يفـوق عـددها عـدد التـواتر وزيـادة . ومـا ينطبـق علـى أهـل مصـر – حفظهـا الله – ينطبـق علـى كثيـر مـن بـلاد العـرب وغيرهـا مـن بـلاد المسـلمين ، فكيـف يقـول الشـيخ الزرقـاني – رحمـه الله – إن

==

القرن العاشر الهجري فانتشرت رواية حفص عن عاصم في معظم العالم الإسلامي منذ ذلك الوقت بسبب اعتماد الدولة العثمانية لها، ثم طباعة المصحف بها. ينظر : مقدمات في علم القراءات لمحمد أحمد مفلح القضاة وآخرين ص : ٦٣ دار عمار – عمان الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م. وقال ابن السلار: وقرأ عبيد على حفص، على عاصم، وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن السلمي، على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقرأ علي على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقرأ عاصم أيضا على زرّ بن حبيش، وقرأ زرّ على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقرأ عبد الله بن مسعود على النبي صلى الله عليه وسلم طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم لابن السلار الشافعي ص : ١٦٤ المكتبة العصرية – صيدا بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م



هذا الشرط لم يكن متوفرا ؟ إن هذا لشيء عجيب ، ولكنه السهو والغفلة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والآن ، إليك طائفة من تلك الأحاديث المتعلقة بنزول القرآن الكريم على سبعة أحرف:

١ -أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : "أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف[١]" زاد مسلم: قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام.

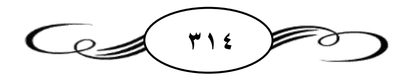
٢- وأخرج البخاري ومسلم أيضا واللفظ للبخاري أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكدت أساوره[٢] في الصلاة ، فانتظرته حتى سلم ، ثم لببته بردائه[٣] ، أو بردائي ، فقلت : من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلت له: كذبت ، فوالله إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

١ - أخرجه البخاري في ك بدء الخلق باب ذكر الملائكة حديث رقم ٣٢١٩ ، ومسلم في ك صلاة المسافرين باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف حديث رقم ٨١٩

٢ - " أساوره "، أي: أواثبه وأقاتله. النهاية في غريب الحديث ٢ / ٤٢٠

٣ - "لببته "، أي: جمعت عليه ثوبه الذي هو لابسه، وجررته به. النهاية في غريب الحديث بتصرف ٤/ ٢٢٣



أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها ، فانطلقت أقوده إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقلت: يا رسول الله : إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، وأنت أقرأتني سورة الفرقان. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "أرسله يا عمر": اقرأ يا هشام فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرأها. قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "هكذا أنزلت". ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا ما تيسر منه[1]".

٣– أخرج مسلم عن أبي بن كعب قال: كنت في المسجد ، فدخل رجل يصلي ، فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر ، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه. فأمرهما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقرآ ، فحسن النبي – صلى الله عليه وسلم – شأنهما ، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية. فلما رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما قد غشيني ، ضرب في صدري ، ففضت عرقا ، وكأنما أنظر إلى الله – عز وجل – فرقا ، فقال لي : "يا أبي : أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه : أن هون على أمتي ، فرد إلي الثانية :

---

١ – أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الخصومات – باب كلام الخصوم مع بعضهم حديث رقم ٢٤١٩ ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين – بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف حديث رقم ٨١٨



اقـرأه علـى حـرفين ، فـرددت إليـه: أن هـون علـى أمتـي ، فـرد إلـي الثالثـة : اقـرأه علـى سـبعة أحـرف ، ولـك بكـل ردة رددتهـا مسـألة تسـألنيها. فقلـت: اللهـم اغفـر لأمتـي ، اللهـم اغفـر لأمتـي. وأخـرت الثالثـة ليـوم يرغـب إلـي الخلـق كلهـم حتـى إبـراهيم – صـلى الله عليـه وسلم[1]". اهـ.

٤- أخـرج مسـلم عـن أبـي بـن كعـب أن النبـي – صـلى الله عليـه وسـلم – كـان عنـد أضـاة[2] بنـي غفـار. قـال: فأتـاه جبريـل – عليـه السـلام – فقـال: إن الله يـأمرك أن تقـرئ أمتـك القـرآن علـى حـرف. فقـال: "أسـأل الله معافاتـه ومغفرتـه ، وإن أمتـي لا تطيـق ذلـك". ثـم أتـاه الثانيـة ، فقـال: إن الله يـأمرك أن تقـرئ أمتـك القـرآن علـى حـرفين، فقـال: "أسـأل الله معافاتـه ومغفرتـه ، وإن أمتـي لا تطيـق ذلـك" ثـم جـاءه الثالثـة ، فقـال: إن الله يـأمرك أن تقـرئ أمتـك القـرآن علـى ثلاثـة أحـرف ، فقـال: "أسـأل الله معافاتـه ومغفرتـه ، وإن

---

١ – أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب مسلم في كتاب صلاة المسافرين – باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه – حديث رقم ٨٢٠)

٢ – (أضاة بني غفار) الأضاة هي الماء المستنقع كالغدير ، وجمعها : أضا كحصاة وحصا ، وإضاء بكسر الهمزة والمد كأكمة وإكام. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري اليمني ١/ ٢٧٧ ، دار الفكر المعاصر بيروت – لبنان ، دار الفكر دمشق – سورية الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م



أمتـي لا تطيـق ذلـك" ثـم جـاءه الرابعـة فقـال: إن الله يـأمرك أن تقـرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف. فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا[1].

٥ – وروى الترمـذي عـن أبـي بـن كعـب أيضـا قـال: لقـي رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – جبريـل عنـد أحجـار المـروة قـال : فقـال رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – لجبريـل: "إنـي بعثـت إلـى أمـة أميـين فـيهم الشـيخ الفـاني ، والعجـوز الكبيـر ، والغـلام". قـال: فمـرهم فليقـرأوا القـرآن علـى سـبعة أحـرف" قـال الترمـذي: حسـن صحيح.

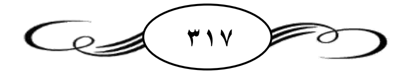
وفـي لفـظ حذيفـة : فقلـت: "يـا جبريـل : إنـي أرسـلت إلـى أمـة أميـة ، فـيهم الرجـل ، والمـرأة ، والجاريـة ، والشـيخ الفـاني الـذي لـم يقرأ كتابا قط" قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف[2]".

٦– أخـرج الإمـام أحمـد بسـنده عـن أبـي قـيس – مـولى عمـرو بـن العـاص – عـن عمـرو أن رجـلا قـرأ آيـة مـن القـرآن ، فقـال لـه عمـرو: إنمـا هـي كـذا وكـذا ، فـذكر ذلـك للنبـي – صـلى الله عليـه

---

١ – أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين – باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف – حديث رقم ٨٢١

٢ – أخرجه الترمذي في سننه في أبواب القراءات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث رقم ٢٩٤٤، قال محققه : حسن صحيح ، وأبو داود الطيالسي في مسنده – أحاديث أبي بن كعب رحمه الله حديث رقم ٥٤٥ الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م ، والشاشي في مسنده – مسند زر بن حبيش عن أبي حديث رقم ١٤٨٠ مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة الطبعة الأولى، ١٤١٠



وسلم – فقال: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فأي ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا[1]".

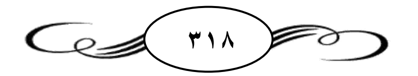
٧– أخرج الحاكم ، وابن حبان بسندهما ، عن ابن مسعود ، قال : أقرأني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سورة من آل حم، فرحت إلى المسجد فقلت لرجل: أقرأها. فإذا هو يقرأها حروفا ما أقرأها. فقال: أقرأنيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فانطلقنا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبرناه فتغير وجهه ، وقال: "إنما أهلك من قبلكم الاختلاف" ثم أسر إلى علي شيئا. فقال علي: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما عُلِّم،. قال: فانطلقنا ، وكل رجل يقرأ حروفا لا يقرأها صاحبه[2] .

٨– وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود أيضا ، أنه سمع رجلا يقرأ آية سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقرأ خلافها.

---

١ – أخرجه البيهقي في شعب الإيمان في الباب التاسع عشر من شعب الإيمان وهو باب في تعظيم القرآن – فصل في ترك المماراة في القرآن حديث رقم ٢٠٧٠ . مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م

٢ – أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير– ما روي في المسند من القراءات، حديث رقم ٢٨٨٥ ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي . وأخرجه الهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان في كتاب التفسير –باب في أحرف القرآن حديث رقم ١٧٨٣ قلت : وفيه أن السورة هي سورة الرحمن طبعة : دار الكتب العلمية بدون تاريخ . وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده – ما رواه عبد الله بن مسعود حديث رقم :٣١٨



قال: فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: "كلاكما محسن فاقرأ" قال شعبة أحد رواة هذا الحديث: أكبر علمي أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "فإن من كان قبلكم اختلفوا فأهلكوا[١]".

٩- وأخرج ابن جرير الطبري عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ولا حرج ، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ، ولا ذكر عذاب برحمة[٢]".

٢ – ما يستفاد من هذه الأدلة:

هذه أهم الأحاديث الواردة في شأن إنزال القرآن على سبعة أحرف ،وبالتأمل فيها نلاحظ ما يأتي :

١ – أن الأحرف السبعة منزلة بالوحي ، وليست من عمل أحد ، والدليل على ذلك أمور:

أحدها : ما سبق من قوله – صلى الله عليه وسلم : إن هذا القرآن قد نزل على سبعة أحرف. وقوله – صلى الله عليه وسلم

---

١ – أخرجه البخاري كتاب الخصومات – باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي حديث رقم ١١٠٨ ، وأحمد في مسند ابن مسعود حديث رقم ٣٧٢٤

٢ – أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤/١ قال محققه الشيخ شاكر : هذا الحديث، بهذا الإسناد واللفظ، لم أجده في موضع آخر، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه البيهقي في السنن الصغرى في كتاب فضائل القرآن – باب ما جاء في قوله: «أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث رقم ١٠٠٨



- في قراءة كل من المختلفين: "هكذا أنزلت" وقول المخالف لصاحبه: أقرأنيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

ثانيها : أنه لو جاز لأحد أن يغير ما شاء من القرآن بمرادفه ، أو غير مرادفه لبطلت قرآنية القرآن ، وأنه كلام الله ، ولذهب الإعجاز، ولما تحقق قوله سبحانه وتعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1] .

يقول الشيخ الزرقاني :

فإذا كان أفضل الخلق محمد- صلى الله عليه وسلم - قد تحرج من تبديل القرآن بهذا الأسلوب ، فكيف يسوغ لأحد مهما كان أمره أن يبدل فيه ويغير بمرادف أو غير مرادف[2] (سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)[3].

قلت : وهذا القول – أعني القراءة بالمرادف - معارض بالأمر الصريح الصادر عنه - صلى الله عليه وسلم -: اقرأوا كما علمتم[4]. وبقوله – صلى الله عليه وسلم للمختلفين المحتكمين

---

١ - سورة الحجر ، آية : ٩

٢ - مناهل العرفان للزرقاني ١/ ١٥١

٣ - سورة النور ، آية : ١٦

٤ - أخرجه أحمد في المسند برقم ٨٣٢ وقال محققه الشيخ شاكر : إسناده صحيح. وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب فضائل القرآن - التنطع بالقراءة برقم ٣٠٠٢٨. والبخاري في خلق أفعال العباد باب الرد على الجهمية وأصحاب التعطيل ص ٨٧. والبزار في مسندة مسند علي بن أبي طالب - ما روى ابن مسعود، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم ٤٤٩



إليــه: هكــذا أنزلــت. وبقولــه : إن هــذا القــرآن قــد نــزل علــى ســبعة أحرف[1] .

ثالثهـا : أن التبـديل والتغييـر مـن قبـل البشـر مـردود مـن أساسـه بقولـه سـبحانه : (قَـالَ الَّـذِينَ لا يَرْجُـونَ لِقَاءَنَـا ائْـتِ بِقُـرْآنٍ غَيْـرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْـهُ قُـلْ مَـا يَكُـونُ لِـي أَنْ أُبَدِّلَـهُ مِـنْ تِلْقَـاءِ نَفْسِـي إِنْ أَتَّبِـعُ إِلَّا مَـا يُـوحَى إِلَـيَّ إِنِّـي أَخَـافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّـي عَذَابَ يَـوْمٍ عَظِيمٍ قُلْ لَـوْ شَـاءَ اللَّهُ مَـا تَلَوْتُـهُ عَلَـيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُـمْ بِـهِ فَقَدْ لَبِثْـتُ فِـيكُمْ عُمُـراً مِـنْ قَبْلِـهِ أَفَـلا تَعْقِلُونَ)[2] .

٢ – أن الحكمــة مــن نــزول القــرآن علــى ســبعة أحــرف هــي التيسير على الأمة ، ورفع الحرج عنها، وذلك يشمل أمرين:

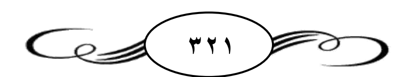
أولهمـا : التيسـير فـي النطـق ، ذلـك أن الأمـة العربيـة آنئـذ كانـت قبائـل مختلفـة فـي اللهجـات ، فلـو كلفـت الأمـة فـي بدايـة عهـدها بقـراءة القـرآن علـى حـرف واحـد لشـق ذلـك عليهـا ، كمـا قـد يشـق علـى القـاهري منـا أن يـتكلم بلهجـة الأسـيوطي مـثلا ، نلمـح ذلـك مـن قولـه – صـلى الله عليـه وسـلم – عنـدما لقـي جبريـل : "يـا جبريـل إنـي أرسـلت إلـى أمـة أميـة ، فـيهم الرجـل ، والمـرأة ، والغـلام ، والجاريـة، والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتابا قط" الخ.

ثانيهمــا : التيســير البلاغــي : ذلــك أن التيســير لا يتوقــف عنــد مجـرد النطـق ، بـل إنـه أرحـب أفقـا ، وأوسـع دائـرة مـن ذلكـم ، بحيـث

---

١ – سبق تخريجهما في أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف.

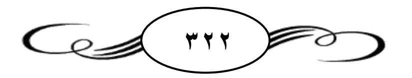
٢ – سورة يونس ، آية : ١٥



إنــه يشــمل ذلــك وغيــره ، كالتيســير فــي البلاغــة مــن حيــث التقــديم والتــأخير ، والزيــادة والنقصــان ، والحقيقــة والمجــاز ...إلــخ ، وهــذا لا يقـل أهميــة عنـد العـرب عـن سـابقه ، إن لـم يكـن أهـم منـه ، ذلـك أن العـرب رغـم أميـتهم إلا أنهـم كـانوا فـي أمـر البلاغـة فرسـانا لا يبـارون ، وفــي ميـدانها يتنافسـون ، ويتسـابقون ، ولـك أن تعـرف أنهـم كـانوا يقيمـون لهـا الاحتفـالات ، وينتهـزون لإقامتهـا الأسـواق[1] ، ومـع هـذا كــانوا فــي شــأنها متفــاوتين ، وفــي ذوقهــا متنــوعين ، والقــرآن بأحرفــه الســبعة قــد راعــى كــل ذلــك ، إذ إن القــرآن لــو جــاء بــدون مراعـاة لهـذا الجانـب لـدى الجميـع ، لشـق ذلـك علـيهم مشـقة قـد تكـون أعظـم مـن تلـك المشـقة المترتبـة علـى عـدم مراعـاة جانـب النطـق عندهم.

---

١ – كان للعرب في جنوبي الجزيرة وشمالها أسواق تحفل بالقبائل، ويكاد يكون أكبر هم لهم ينحصر في تخير اللغة وتهذيبها عملا لا قولا، وعلى الأخص منذ كانت هذه الأسواق مجالس للتحدث بأيامهم وحروبهم، ونوادي يتبارى فيها خطباؤهم وشعراؤهم.
كان لهم في الجنوب: ١ – الشحر. ٢ – سوق عدن . ٣ – سوق صنعاء.
٤ – .... سوق حضرموت.
وكانت لهم في أواسط الجزيرة: ١ – سوق ذي المجاز شرقي مكة بناحية عرفة. ٢ – سوق مجنة قرب مكة. ٣ – سوق حباشة إلى اليمين من مكة. ٤ – سوق عكاظ، وهو أكبرها وأشهرها وأجمعها للقبائل والشعراء والخطباء.
ومن أسواقهم في الشمال: ١ – سوق دومة الجندل – وفي الشرق سوق هجر ٢ – سوق عمان. ٣ – سوق المشقر. ينظر : معجم متن اللغة لأحمد رضا .١/ ٤٢. بتصرف. دار مكتبة الحياة – بيروت ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٨ م



يقول الدكتور محمد النبهان :

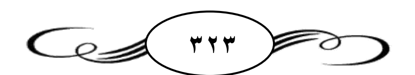
والحكمة من ذلك احترام اللهجات العربية، وإشعار مختلف القبائل العربية أنها قادرة على أن تقرأ القرآن بلهجتها، وأن العربية تتسع لكل العرب، وتعترف بخصوصيات اللهجات العربية، وفي هذا تأكيد على وحدة اللغة العربية، ودعوة للعرب جميعا لكي يلتفوا حول القرآن كتابهم الخالد، ورمز وحدتهم اللغوية، وحافظ هذه اللغة من أي عبث أو تحريف.[١]

٣ - أن مرات استزادة الرسول – صلى الله عليه وسلم – للتيسير على أمته كانت ستا غير الحرف الذي أقرأه أمين الوحي عليه أول مرة ، فتلك سبعة كاملة بمنطوقها ومفهومها[٢].خذ مثلا ما جاء في حديث ابن عباس السابق ، وقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيه: "أقرأني جبريل على حرف ، فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى بلغ سبعة أحرف" وكذلك جاء في حديث أبي – رضي الله عنه – وفيه :أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : إن جبريل وميكائيل عليهما السلام أتياني، فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل عليه السلام:

---

١ – المدخل إلى علوم القرآن الكريم لمحمد فاروق النبهان ص ٢١ دار عالم القرآن – حلب الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٢ – مناهل العرفان للشيخ لمحمد عبدالعظيم الزرقاني ١/ ١٠٦.



اقرأ القرآن على حرف. قال ميكائيل: استزده. استزده حتى بلغ سبعة أحرف فكل حرف شاف كاف [1]"

٤ - أن الأمة كانت مخيرة في القراءة بأي حرف من هذه الأحرف المنزلة ، والدليل على ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم- كما جاء في الأحاديث السابقة "فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا" وقوله - صلى الله عليه وسلم - لكل من المختلفين في القراءة : "أصبت" وقوله - صلى الله عليه وسلم - لهما في رواية ابن مسعود: "كلا كما محسن" وقوله - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عمرو بن العاص: "فأي ذلك قرأتم أصبتم".

قال الإمام السيوطي: إن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة ، وإنما كان جائزا لهم ومرخصا لهم فيه[2]. ويقول الدكتور القيعي رحمه الله: والأحرف السبعة على حقيقتها في العدد، وكان الترخيص بها بعد الهجرة، وأن الأمر بالقراءة بأحد الأحرف للتخيير[3].

٥ – نلاحظ كذلك مدى حرص الصحابة –رضوان الله عليهم– على سلامة النص القرآني كما تلقوه من سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فإذا وجدوا خلاف ذلك تصدوا له بكل صرامة

---

١ - أخرجه النسائي عن أبي في كتاب الافتتاح –جامع ما جاء في القرآن برقم ٩٤١. وقال محققه: صحيح.

٢ - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٧٧/١

٣ – الأصلان في علوم القرآن للدكتور القيعي ص ٤٦ بدون بيانات.



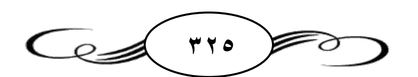
وقـوة ، ولـك أن تسـترجع دلـيلا علـى ذلـك مـا فعـل عمـر بصـاحبه هشـام بـن حكـيم – رضـي الله عنهمـا – مـع أن هشـاما كـان علـى صـواب فيمـا يقـرأ ، ولـذلك قـال لعمـر تبريـرا لقراءتـه: أقرأنيهـا رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – لكـن عمـر لـم يقتنـع . بـل لببـه ، وحاكمـه إلـى رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – حتـى أخبـره أن هشـاما قـد أصـاب ، وأيضـا مـا فعلـه أبـي بـن كعـب بصـاحبه ، وهكذا...

يقول الدكتور أبو شهبة:

نلاحـظ حـرص الصـحابة- رضـوان الله علـيهم- البـالغ علـى القـرآن الكـريم، وغايـة تحـوطهم فـي المحافظـة عليـه، ونفـي الريـب والتغييـر والتبـديل عنـه؛ وبحسـبك شـاهدا علـى هـذا مـا كـان مـن الفـاروق عمـر – رضـي الله عنـه- مـع هشـام بـن حكـيم حتـى هـم أن يأخـذ بتلابيبـه وهـو فـي الصـلاة ، ومـا كـان مـن أبـي وابـن مسـعود ، وعمـرو بـن العـاص مـع غيـرهم، وأن الصـحابة إنمـا اختلفـوا وتنـازعوا فـي قـراءة بعـض الألفـاظ، ورفعـوا الأمـر إلـى رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – قبـل أن يعلمـوا: أن القـرآن أنـزل علـى سـبعة أحـرف ، فلمـا علمـوا بهـذه الحقيقـة اطمـأنوا، وقطـع بيـنهم دابـر الشـقاق والمراء [1].

---

١ – المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور محمد أبي شهبة ص ١٧٤ مكتبه السنة – القاهرة الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م



٦ - أن المتأمل فيما حدث بين الصحابة من نزاع في شأن الأحرف السبعة يلاحظ أن الخلاف بينهم ليس في كل كلمات السورة ، بل في بعضها ، بدليل أنهم كانوا يعرفونها ، ولو كان الخلاف في كل الكلمات ربما ظنوا أنها سورة جديدة ، ولما كان هناك محل للنزاع أصلا ، وإذن فالمتصور أنه كان في قراءتهم قدر متفق عليه ، وآخر ليس كذلك ، وهو الذي وقع فيه الخلاف بين المتنازعين.

يقول الشيخ نور الدين عتر:

تثبت عبارات الأحاديث المفصلة الواردة في الأحرف السبعة أصلا هاما يجب أن لا يغيب عن بال الباحث في تفسير الأحرف السبعة، وهو أنها وجوه في أداء الألفاظ فقط ، أي كيفيات في القراءة ، ووجه الدلالة على ذلك أن الخلاف بين الصحابة في القراءة إنما وقع حول قراءة الألفاظ ، ولم يكن اختلاف في تفسير المعاني، انظر إلى قول عمر بن الخطاب: «فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -»، وهكذا سائر العبارات تشير إلى أن القضية كانت تدور حول كيفية قراءة الألفاظ، لا تفسير المعاني.[1]

---

١ - علوم القرآن الكريم لنور الدين محمد عتر ص ١٤٠ مطبعة الصباح – دمشق الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م



٧ – أن الصحابة – رضوان الله عليهم – قد اختلفوا بسبب الأحرف السبعة كما رأينا من موقف عمر من هشام بن حكيم ، وكذلك موقف أبي بن كعب من أولئك الذين دخلوا المسجد ، وهكذا.

٨ – أن الصحابة – رضي الله عنهم – لما اختلفوا احتكموا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما حدث من عمر وهشام ، وغيرهما.

٩ – أنهم لما احتكموا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صوب قراءة الجميع ، مما يدل على صحة قراءة الجميع ، لأنهم يقرأون كما عُلِّموا [١].

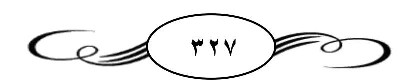
١٠ – أنه لا يجوز لأحد كائنا من كان أن يترك ، أو ينكر ، أو يقول بنسخ شيء من هذا المنزل بدون الرجوع إلى الشرع ، ولذلك اعترض الصحابة – رضي الله عنهم – على من قرأ بغير ما تعلموا من رسول الله – صلى الله عليه وسلم– .

قال أبو عمر [٢] : والصحيح في النظر عندي : أن لا يحكم بنسخ شيء من القرآن إلا ما قام عليه الدليل الذي لا مدفع له ،

---

١ – استفدت هذه النقاط الثلاثة من كتاب اللآلئ الحسان للدكتور/ موسى شاهين لاشين ص ١٠٧. طبعة دار الشروق الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ٢٠٠٢

٢ – هو الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي صاحب التصانيف الفائقة. كان فقيها عابدا متهجدا، مات سنة ثمانين وثلاث مائة . ينظر : سير أعلام
==



ولا يحتمل التأويل[1]

أما فيما يتعلق بتردد أبي بن كعب - رضي الله عنه - والذي عبر عنه بقوله : فسقط في نفسي من التكذيب الخ

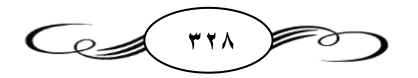
- أن الشيطان ألقى إليه من وساوس التكذيب ما شوش عليه حاله حين رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - قد حسن قراءتين على ما بينهما من اختلاف ، وكانتا في سورة واحدة هي سورة النحل على ما رواه الطبري. وكأن الذي مر بخاطره وقتئذ : أن هذا الاختلاف في القراءة ينافي أنه من عند الله. لكنه كان خاطرا من الخواطر الرديئة التي لا تنال من نفس صاحبها منالا ، ولا تفتنها عن عقيدة ، ولا يكون لها أثر باق ، ولا عمل دائم. ومن رحمة الله بعباده أنه لا يؤاخذهم بهواجس النفوس ، وخلجات الضمائر العابرة. ولكن يؤاخذهم بما كسبت قلوبهم حين يفتح الإنسان للشبهة صدره يوجه إليها اختياره وكسبه ثم يعقد عليها فؤاده وقلبه.

- ولعل الذي دفعه إلى ذلك أيضا ما قد علمه عن التوراة التي كان بها يدين من أنها لم تكن تقرأ [2]إلا بطريقة واحدة ، فلعله

==

النبلاء للذهبي ١٣/ ٣٥٧ والصلة لابن بشكوال "٢/ ٦٧٧- ٦٧٩"، ووفيات الأعيان لابن خلكان "٧/ ٦٦- ٧٢"،

١ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبدالبر ١٤/ ٣٩٢ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب ١٣٨٧ هـ



ظن أن الأمر في القرآن ينبغي أن يكون كذلك ، فلما وضح له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الأمر اقتنع وسلم.

قال القرطبي : فكأن هذا الخاطر يشير إلى أن ما سقط في نفس أبي من قبيل ما قال فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – حين سألوه إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: "أوقد وجدتموه؟ " قالوا: نعم. قال: "ذلك صريح الإيمان[1]". اهـ.

ومن هذا تعلم أن ما خطر لسيدنا أبي بن كعب – رضي الله عنه – لا يمس مقامه ، ولا يصادم إيمانه، ما دام قد دفعه بإرشاد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سريعا كما في الحديث الشريف.

أضف إلى ما ذكرنا أن خصومة أبي بن كعب في أمر اختلاف القراءة على هذا النحو، إنما كانت من قبل أن يعلم أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فهو وقتئذ كان معذورا ، بدليل أنه لما علم بذلك ، واطمأنت إليه نفسه، عمل بما علم ، وكان مرجعا مهما من مراجع القرآن على اختلاف

---

١ – أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة حديث رقم ٢٥٧ أحمد في مسنده مسند أبي هريرة حديث رقم ٩١٤٥قال محققه الشيخ شعيب الأرنؤوط: صحيح ، وهذا إسناد قوي ، وهو على شرط مسلم ، والبيهقي في شعب الإيمان في الثامن من شعب الإيمان، وهو باب في حشر الناس بعد ما يبعثون من قبورهم إلى الموقف الذي بين لهم من الأرض – فصل فيما يجاوز الله عن عباده ، حديث رقم ٣٣١



رواياته، وكان من رواة هذا العلم للناس[1] ، كما تلاحظه في الحديثين المسندين إليه بعد[2].

<u>٣ – تحديد المفاهيم</u>

– معنى نزول القرآن على سبعة أحرف

قبل أن نتكلم عن أقوال العلماء عن المقصود بقوله – صلى الله عليه وسلم : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، ينبغي أن نحدد المقصود من بعض المصطلحات الواردة في تلك الأحاديث السابقة ، فنلاحظ أيها القارئ الكريم وجود قدر مشترك في هذه الأحاديث ، هي قوله – صلى الله عليه وسلم – : إن هذا القرآن قد أنزل على سبعة أحرف ، والذي يعنينا هنا هو بيان معنى قوله – صلى الله عليه وسلم – : على سبعة أحرف.

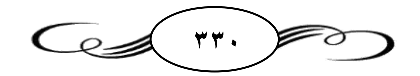
أما السبعة ،فلها في اللغة معنيان :

ألأول: الحصر ، أي العدد الواقع بين الستة والثمانية ، تقول: واحد ، اثنان ، ثلاثة ...وهكذا. ومنه قوله تعالى :(فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ)[1]

---

١ – أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول (استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود – فبدأ به – وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل. صحيح البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب سالم حديث رقم ٣٥٤٨. ومسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما رقم ٢٤٦٤

٢ – مناهل العرفان للزرقاني بتصرف ١/ ١٤٢



الثـاني : الكثـرة فـي الآحـاد ، كتلـك التـي فـي قولـه سـبحانه : (وَالْبَحْـرُ يَمُـدُّهُ مِـنْ بَعْـدِهِ سَـبْعَةُ أَبْحُـرٍ مَـا نَفِـدَتْ كَلِمَـاتُ اللَّهِ......)[2] ، فـإن المـراد منهـا الكثـرة فـي الآحـاد ، أي : والبحـر يمـده مـن بعـده أبحـر كثيـرة مـا نفـدت كلمـات الله ، لأنـه لا يعقـل أن يكـون المقصـود مـن السبعة فـي الآيـة الكريمـة : حقيقـة العدد ، وإلا لكـان المعنـى أنـه إذا زادت الأبحـر علـى سـبعة نفـدت كلماتـه سـبحانه ، فهـذا محـال قطعـا ، يقـول صـاحب لسـان العـرب : السـبع والسـبعة مـن العـدد: معـروف، سـبع نسـوة ، وسـبعة رجـال ، والسـبعون معـروف، وهـو العقـد الـذي بـين السـتين والثمـانين ، وقـد تكـرر ذكـر السـبعة والسـبع والسـبعين والسـبعمائة فـي القـرآن وفـي الحـديث ، والعـرب تضـعها موضـع التضـعيف والتكثيـر كقولـه تعـالى: (إِنْ تَسْـتَغْفِرْ لَهُـمْ سَـبْعِينَ مَـرَّةً فَلَـنْ يَغْفِـرَ اللَّهُ لَهُـمْ)[3] ، مـن بـاب التكثيـر والتضـعيف ، لا مـن بـاب حصـر العـدد، ولـم يـرد الله – عـز وجـل – أنـه – عليـه السـلام – إن زاد علـى السـبعين غفـر لهـم، ولكـن المعنـى إن اسـتكثرت مـن الـدعاء والاستغفار للمنافقين لم يغفر الله لهم[4]

إذا تبـين هـذا ، فإنـا نقـول : إن المقصـود مـن السـبعة فـي تلـك الأحاديـث : الحصـر ، أي حقيقـة العـدد المعـروف الواقـع بـين السـتة

==

١ – سورة البقرة ، آية : ١٩٦

٢ – سورة لقمان ، آية : ٢٧

٣ – سورة التوبة ، آية : ٨٠

٤ – لسان العرب لابن منظور باب العين – فصل السين المهملة ١٤٦/٨. دار صادر – بيروت الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ



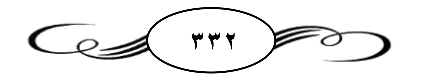
والثمانيــة ، ولــيس المقصــود منهــا : الكثــرة ، والــدليل علــى أنهــا للحصـر قولـه – صـلى الله عليـه وسـلم : لجبريـل علـى حـرف ، علـى حـرفين ....هكـذا حتـى وصـل إلـى سـبعة ، مـثلا : أقـرأ حـديث مسـلم السـابق عـن أبـي بـن كعـب ، أن النبـي – صـلى الله عليـه وسـلم – كـان عنـد أضـاة بنـي غفـار. قـال: فأتـاه جبريـل – عليـه السـلام – فقـال : إن الله يـأمرك أن تقـرئ أمتـك القـرآن علـى حـرف. فقـال: "أسـأل الله معافاتــه ومغفرتــه ، وإن أمتــي لا تطيــق ذلــك". ثــم أتــاه الثانيــة ، فقـال: إن الله يـأمرك أن تقـرئ أمتـك القـرآن علـى حـرفين .فقـال: "أسـأل الله معافاتــه ومغفرتــه ، وإن أمتــي لا تطيــق ذلــك" ثــم جــاءه الثالثــة ، فقـال: إن الله يـأمرك أن تقـرئ أمتـك القـرآن علـى ثلاثـة أحـرف . فقـال: "أســأل الله معافاتــه ومغفرتــه ، وإن أمتــي لا تطيــق ذلــك" ثــم جــاءه الرابعــة ، فقــال: إن الله يــأمرك أن تقــرئ أمتــك القــرآن علــى ســبعة أحـرف. فأيمـا حـرف قـرأوا عليـه فقـد أصـابوا)[1] ، وحـديث أبـي عنـد النسـائي ، وفيـه : إن جبريـل وميكائيـل – عليهمـا السـلام – أتيـاني، فقعـد جبريـل عـن يمينـي وميكائيـل عـن يسـاري، فقـال جبريـل – عليـه السـلام: اقـرأ القـرآن علـى حـرف. قـال ميكائيـل: اسـتزده ، اسـتزده حتـى بلـغ سبعة أحرف فكل حرف شاف كاف[2] .

وأمـا الأحـرف فجمـع حـرف ، والحـرف لفـظ مشـترك يطلـق علـى أكثـر مـن معنـى بالسـوية : يقـول صـاحب القـاموس : الحـرف مـن كـل

---

١ – سبق تخريجه في أدلة إنزال القرآن على سبعة أحرف

٢ – أخرجه النسائي في كتاب الافتتاح – جامع ما جاء في القرآن حديث رقم ٩٤١. وقال محققه : صحيح.



شـــيء : طرفــه ، وشــفيره ، وحــده ، ومــن الجبــل : أعــلاه المحــدد ، وواحــد حــروف التهجــي ، والناقــة الضــامرة ، أي: المهزولــة ، أو العظيمـة ، ومسـيل المـاء. وعنـد النحـاة مـا جـاء لمعنـى لـيس باسـم ولا فعـل. (وَمِـنَ النَّـاسِ مَـنْ يَعْبُـدُ اللَّهَ عَلَـى حَـرْفٍ)[1] ، أي وجـه واحـد ، وهـو أن يعبـده علـى السـراء ، لا علـى الضـراء ، أو علـى شـك ، أو علــى غيــر طمأنينــة مــن أمــره ، أي لا يــدخل فــي الــدين متمكنــا[2] . والعـرب تطلـق علـى وجـوه التغـاير فـي الكـلام : حرفـا ، قـال الخليـل بـن أحمـد الفراهيـدي فـي "العـين[3]": «وكـل كلمـة تقـرأ علـى وجـوه مـن القــراءات تســمى حرفــا ، يقــال: يقــرأ هــذا الحــرف فــي حــرف ابــن مسـعود ، أي فــي قراءتــه. والتحريـف فـي القـرآن تغييـر الكلمـة عـن معناهـا وهـي قريبـة الشـبه، كمـا كانـت اليهـود تغيـر معـاني التـوراة بالأشـــباه، فوصـــفهم الله بفعلهـــم فقـــال:(يُحَرِّفُـــونَ الْكَلِـــمَ عَـــنْ مَوَاضِعِهِ....)[4]الآية

وإذا كـان لفـظ الحـرف لفظـا مشـتركا لفظيـا يطلـق علـى أكثـر مـن معنـى إلا إنــه راجـح فـي أحـدها ، وهـو أن الحـرف بمعنـى الوجـه ، لأن المعـاني الأخـرى لا يمكـن أن تكـون هـي المـراد ، فمـثلا لا يعقـل أن

---

١ - سورة الحج ، آية : ١١

٢ - القاموس المحيط للفيروزآبادى - باب الفاء فصل الحاء ٧٩٨/١ بتصرف. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة الثامنة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٣ - العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٢١١/٣. دار ومكتبة الهلال بدون تاريخ.

٤ - سورة المائدة ، آية : ١٣



يكون المراد :إن القرآن قد نزل على سبعة أحرف ، أي : سبعة من حروف الهجاء ، أو من الشك ، أو من النوق الضوامر ، ، وهكذا ، فلم يتبق إلا معنى واحد ، ألا وهو الوجه . يقول الشيخ الزرقاني : والمشترك اللفظي يراد به أحد معانيه التي تعينها القرائن وتناسب المقام. وأنسب المعاني بالمقام هنا في إطلاقات لفظ الحرف أنه الوجه بالمعنى الذي سيأتي في القول الراجح، لا بالمعنى الذي ذهب إليه صاحب القاموس وغيره من أئمه اللغة [1].

ثم إن كلمة :- على - في قوله - صلى الله عليه وسلم: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" تشير إلى أن المسألة على هذا الشرط من التوسعة والتيسير أي أنزل القرآن موسعا فيه على القارئ أن يقرأه على سبعة أوجه ، يقرأ بأي حرف أراد منها على البدل من صاحبه ، كأنه قال : أنزل على هذا الشرط ، وعلى هذه التوسعة ، وليس المراد أن كل كلمة من القرآن تقرأ على سبعة أوجه ، إذا لقال - صلى الله عليه وسلم - : إن هذا القرآن أنزل سبعة أحرف بحذف لفظ على.

<u>٤ - آراء العلماء في الأحرف السبعة</u>

إذا نظرنا في الأخبار الواردة في شأن نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف ، وتأملنا في معانيها ، والحال الذي وردت فيه ، لا نجد فيها عبارة صريحة تبين المراد بالأحرف السبعة على وجه الدقة والتحديد ، والذي يظهر أن ذلك كان لوضوح المعنى

١ - مناهل العرفان ج١/ ١٥٣



المقصود منها عند الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - ، بشكل لا يحتاج معه إلى تفسير، حتى تتحقق الحكمة من الرخصة، فليس من المعقول أن يرخص لهم في شيء مجهول ، ولكن بمرور الوقت وتطاول الزمن ، حدث خلاف كبير بين أهل العلم في تحديد المراد من السبعة أحرف لدرجة أن الإمام الزركشي[1] قال : قال ابن العربي[2] : لم يأت في معنى هذا السبع نص ، ولا أثر ، واختلف الناس في تعيينها. وقال الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي[3] : اختلف الناس فيها على خمسة وثلاثين قولا ، وقال : وقفت منها على كثير[4]. وقال العلامة القرطبي: وقد اختلف العلماء في المراد

---

١ - هو محمد بن بهادر بن عبد الله ، أبو عبد الله ، بدر الدين ، الزركشي . فقيه شافعي أصولي . تركي الأصل ، مصري المولد والوفاة . له تصانيف كثيرة في عدة فنون . من تصانيفه : البحر المحيط في أصول الفقه ؛ وإعلام الساجد بأحكام المساجد ؛ والديباج في توضيح المنهاج في الفقه الشافعي ؛ والبرهان في علوم القرآن. توفي سنة : ٧٩٤ هـ ؛ الدرر الكامنة ٣٩٧/٣

٢ - هو محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي المالكي المعروف بأبي بكر بن العربي القاضي، من حفاظ الحديث. صاحب الكتاب المعروف "العواصم من القواصم" . وكتاب "أحكام القرآن" . توفي سنة (٥٤٣) ينظر : الأوهام الواقعة في أسماء العلماء والأعلام لمصطفى الحبيب ص : ١١. بدون بيانات.

٣ - هو الإمام العلامة الحافظ المجود شيخ خراسان أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البستي ، صاحب الكتب المشهورة ، منها : كتاب " الضعفاء وتاريخ الثقات " ، " علل أوهام المؤرخين ". توفي بسجستان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ١٢/ ١٢. دار الحديث- القاهرة الطبعة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

٤ - البرهان للزركشي ٢١٢/١



بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستي، نذكر منها في هذا الكتاب خمسة أقوال[1]. ثم ذكرهم رحمه الله ، وقال السيوطي بعد أن ساق جملة من أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف : اختلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولا[2]. وذكرها رحمه الله ، على أن هذه الأقوال تنقسم إلى أقوال لها دليل ، وأخرى لا دليل عليها ، وفي هذه العجالة سأذكر لك أيها القارئ الكريم عددا من هذه الأقوال ، مبتدئا بذكر الأقوال التي لأصحابها دليل ، ثم بذكر نماذج من الأقوال التي لا دليل عليها ، ومختتما بذكر القول الراجح ، فأقول وبالله التوفيق.

أولا : الأقوال التي لها دليل :

القول الأول : ذهب الإمام ابن جرير الطبري، والطحاوي[3] وجمهور أهل الفقه ، والحديث ، منهم : سفيان[4] ،

---

١ - الجامع لأحكام القرآن ٤١/١

٢ - الإتقان للسيوطي ١٦٣/١

٣ - هو الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي، الحجري، المصري، الطحاوي، الحنفي، صاحب التصانيف من أهل قرية طحا من أعمال مصر توفي في مستهل ذي القعدة، سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة. سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/ ٣٦٢

٤ - هو سفيان" بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي كان إماما من أئمة المسلمين وعلما من أعلام الدين مجمعا على إمامته بحيث يستغنى عن تزكيته مع الإتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ==



وابـن وهـب[1] ، إلـى أن المـراد بـالأحرف السـبعة : سـبعة أوجـه مـن الألفـاظ المختلفـة فـي كلمـة واحـدة ، ومعنـى واحـد ، وإن شـئت فقـل: سـبع لغـات مـن لغـات العـرب المشـهورة فـي كلمـة واحـدة ، ومعنـى واحـد ، نحـو : هلـم، وأقبـل ، وتعـال ، وعجـل ، وأسـرع ، وقصـدي ، ونحـوي ، فهـذه ألفـاظ سـبعة معناهـا واحـد ، وهـو طلـب الإقبـال[2].

واستدلوا بعدة أدلة منها :

١ – مـا جـاء فـي حـديث أبـي بكـرة " أن جبريـل قـال للنبـي – صـلى الله عليـه وسـلم: اقـرأ القـرآن علـى حـرف، فقـال لـه ميكائيـل: استزده، فقـال: حـرفين، ثـم قـال: استزده، حتـى بلـغ سـبعة أحـرف كلهـا شـاف كـاف كقولـك: هلـم وتعـال، مـا لـم يخـتم آيـة رحمـة بآيـة عـذاب، أو آية عذاب برحمة "[3].

==

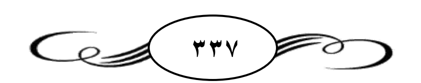
ومائـة تهـذيب التهـذيب لابـن حجـر ٤/١١١. مطبعـة دائـرة المعـارف النظاميـة، الهنـد الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ

١ – هو عبد الله" بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم أبو محمد المصري الفقيه شيخ أهل مصر قال هارون بن عبد الله الزهري كان الناس بالمدينة يختلفون في الشيء عن مالك فينتظرون قدوم ابن وهب حتى يسألوه عنه فمات بمصر سنة سبع وتسعين ومائة تهذيب التهذيب لابن حجر ٦/٧٢

٢ – مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١/ ١٧٤

٣ – أخرجه النسائي عن أبي في كتاب الافتتاح –جامع ما جاء في القرآن برقم ٩٤١. وقال محققه : صحيح. .وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه القرآن في كتاب فضائل القرآن على كم حرفا نزل؟ برقم ٣٠١٢٢. والبزار في مسنده البحر الزخار مسند أبي

==



٢ – ما أخرجه ابن جرير الطبري عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ، ولا حرج ، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة[1].

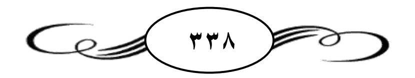
٣ – ما أخرجه أبو داود عن أبي قال : قال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم:" يا أبي : إني أقرئت القرآن ، فقيل لي : على حرف أو حرفين . فقال الملك الذي معي : قل : على حرفين. فقيل لي : على حرفين أو ثلاثة . فقال الملك الذي معي : قل على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف . ثم قال: ليس منها إلا شاف كاف : إن قلت سميعا عليما ، عزيزا حكيما ، ما لم تخلط آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب[2]

==

بكرة رضي الله عنه حديث أبي بكرة برقم : ٣٦٢٢. مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

١ – أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤/١ قال محققه الشيخ شاكر : هذا الحديث، بهذا الإسناد واللفظ، لم أجده في موضع آخر، وإسناده صحيح على شرط الشيخين. قلت: وأخرجه البيهقي في السنن الصغرى في كتاب فضائل القرآن – باب ما جاء في قوله: «أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث رقم ١٠٠٨

٢ – أخرجه أبوداود باب "أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث رقم ١٤٧٧ تحقيق شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي دار الرسالة العالمية الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م وأخرجه البغوي في شرح السنة في كتاب فضائل القرآن – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: أنزل القرآن على سبعة أحرف ٤/ ٥١٠، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م



٤ - ما أخرجه أحمد في مسنده عن أبي بن كعب ، قال : قرأت آية ، وقرأ ابن مسعود خلافها ، فأتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلت : ألم تقرئني آية كذا وكذا ؟ قال : بلى . فقال ابن مسعود : ألم تقرئنيها كذا وكذا ؟ فقال : بلى ، كلاكما محسن مجمل . قال : فقلت له : ما كلانا محسن مجمل . قال : فضرب صدري ، فقال : يا أبي بن كعب ، إني أقرئت القرآن ، فقلت : على حرفين ، فقال : على حرفين ، أو ثلاثة ؟ فقال الملك الذي معي : على ثلاثة ، فقلت : على ثلاثة ، حتى بلغ سبعة أحرف ، ليس منها إلا شاف كاف ، إن قلت : غفورا رحيما ، أو قلت : سميعا عليما ، أو عليما سميعا ، فالله كذلك ، ما لم تختم آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب[1].

٥ – ما أخرجه الطبري عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف، فالمراء في القرآن كفر - ثلاث مرات - فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه[2]

١ - المسند – مسند أبي حديث رقم ٢١٤٦٧ ، وأخرجه البيهقي في السنن في كتاب الصلاة - باب الدعاء في الصلاة برقم ٤٠٤٦-، وفي السنن الصغير في كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في قوله: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» برقم ١٠٠٩

٢ - مقدمة جامع البيان ٢٢/١ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم ٧٩٧٦ طبعة الحلبي عن أنس بن عياض. وابن حبان في صحيحه (رقم: ٧٣ بشرح أحمد محمد شاكر) عن أنس أيضا.

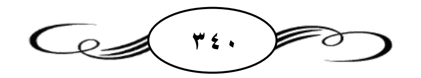


٦- ما أخرجه الطبري عن سعيد بن المسيب: أن الذي ذكر الله تعالى أنه قال (إِنَّمَا يُعَلِمُهُ بَشَرٌ)[1] ، إنما افتتن ، لأنه كان يكتب الوحي، فكان يملي عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم: سميع عليم ، أو عزيز حكيم ، أو غير ذلك من خواتم الآي، ثم يشتغل عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على الوحي، فيستفهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول: أعزيز حكيم ، أو سميع عليم ، أو عزيز عليم؟ فيقول له رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أي ذلك كتبت فهو كذلك. ففتنه ذلك، فقال: إن محمدا وكل ذلك إلي، فأكتب ما شئت. وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة[2]

---

١ - سورة النحل آية :١٠٣

٢ - أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٨/ ٢٨٣و ٢٨٤، وأخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٢٤، وأخرجه أبو داود في السنن في كتاب الصلاة ، باب «أنزل القرآن على سبعة أحرف» الحديث رقم: ١٤٧٧، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الصلاة، باب وجوب القراءة على ما نزل من الأحرف السبعة دون غيرهن من اللغات٢/ ٣٨٤،. والطبري في جامع البيان ١/٥٤ قلت : وهو حديث مرسل ، و ذكره الطبري مرة أخرى بهذا اللفظ نفسه في تفسير سورة النحل: ١٠٣، وهو يوهم أن الذي نزل فيه "إنما يعلمه بشر"، هو كاتب الوحي الذي افتتن. وقيل : إنه عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري القرشي، وهو ليس بأعجمي، وآية النحل تصرح بعجمته قال تعالى :(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) ، سورة النحل آية : ١٠٣.فلا تقوم بهذا الأثر حجة في مثل هذا المقام على ما سيتبين . والله أعلم.



٧ - ما جاء في حديث أبي بن كعب أنه كان يقرأ :(كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ)[1] ، مروا فيه ، سعوا فيه[2].

٨ - وبما جاء عن ابن مسعود أنه كان يقرأ : (لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا)[3] أمهلونا ، أخرونا[4].

٩ - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه أنه قرأ قوله تعالى في المزمل: (إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلًا)[5] ، قال: (وأصوب قيلا، فقيل له: أقوم فقال: وأصوب وأهيأ واحد)[6]

١٠ - جاء عن ابن مسعود أنه قد أقر رجلا قرأ قوله تعالى: (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّوم، طَعَامُ الْأَثِيمِ)[1] حين قال : طعام الأثيم . فقال: (قل: طعام الفاجر)[2]

---

١ - سورة البقرة ، آية : ٢٠

٢ - أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٨/ ٢٩١. وذكره ابن كثير في فضائل القرآن ١/ ٤٥، وأبو حيان في البحر المحيط ١/ ٩٠

٣ - سورة الحديد ، آية : ١٣

٤ - أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد ٨/ ٢٩١. وذكره ابن كثير في فضائل القرآن ١/ ٤٥. ، وأبو حيان في البحر المحيط ١/ ٩٠

٥ - سورة المزمل آية : ٦.

٦ - جامع البيان ١/ ١٨، وأخرجه أبو يعلى الموصلي - في باب الأعمش عن أنس - حديث رقم ٤٠٢٢ - تحقيق حسين سليم أسد - دار المأمون للتراث - دمشق الطبعة الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، وقال محققه حسين سليم أسد : إسناده ضعيف ومتنه منكر مردود ، وأبو الحسن الهيثمي في المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي حديث رقم ١٢١٧تحقيق سيد كسروي دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان



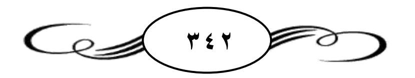
قلت : هذا القول رغم إجلالنا لقائله ، وهو الإمام ابن جرير الطبري – رحمه الله – إلا أنا نقول كما قال علماؤنا : هذا الرجل كبير، ولكن الحق أكبر منه، لذا فقد خالفه جماهير العلماء فيما ذهب إليه. ولو أمعن بعض المحدثين النظر فيما اعترض به العلماء على ابن جرير لما ذهبوا مذهبه، بل أوقعتهم ثقتهم بهذا المفسر العظيم حين افتتح كتابه بالحديث عن علوم القرآن، وبحث الأحرف السبعة، وأطال الاستدلال، فتوهم هؤلاء

==

١ – سورة الدخان آية : ٤٣ – ٤٤ .

٢ – أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير – تفسير سورة الدخان حديث رقم ٣٦٨٤ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي، وأبو يوسف يعقوب الأنصاري في كتابه الآثار حديث رقم ٢٢٣– تحقيق أبي الوفا – دار الكتب العلمية – بيروت. وابن عبدالبر في التمهيد ٨/ ٢٩٢، وقال أبو عمر : وإنما ذكرنا ذلك عن مالك تفسيرا لمعنى الحديث. وأخرجه الطبري في تفسيره عن أبي الدرداء عند تفسير الآية من سورة الدخان ٤٣/٢٢

قلت : وهذه الآثار الثلاثة على فرض التسليم بصحها جدلا عمن نسبت إليه تحمل على أنها من قبيل التفسير كما هو ظاهر والله أعلم. قال القاري: إنه مستبعد جدا من الصحابة , خصوصا من أبي وابن مسعود , أنهما يبدلان لفظا من عندهما بدلا مما سمعاه من لفظ النبوة , وأقاماه مقامه من التلاوة، فالصواب أنه تفسير منهما , أو سمعا منه – صلى الله عليه وسلم – الوجوه , فقرأ مرة كذا ومرة كذا , كما هو الآن في القرآن , من الاختلافات المتنوعة المعروفة عند أرباب الشأن، وكذا قال الطحاوي , وإنما كان ذلك رخصة لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد , لعدم علمهم بالكتابة والضبط , وإتقان الحفظ , ثم نسخ بزوال العذر , وتيسير الكتابة والحفظ , قاله في المرقاة.



بأن رأيه هو الحق الذي لا بديل له. والحق أن هذا القول ضعيف كما يقول الدكتور النبهان:

هذا قول الطبري وهو فاسد من وجوه كثيرة:

١ - أن الآثار التي استند إليها في الأحرف السبعة لم يصح منها إلا ما أوردناه سابقا[1] ، أو ما هو قريب من لفظة ومعناه ، أما هذه الروايات المروية عن الصحابة ، فلم تثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم.

٢ - أن الآثار المروية عن الصحابة- رضوان الله عليهم - على فرض صحتها هي قراءات شاذة لا يعتد بها في الاستشهاد.

٣ - لم يعتبر أحد أن هذه القراءات قرآنية ، لأنها لم تتواتر ، وهي قراءات إن صحت على أبعد احتمال ، فلا تعدو أن تكون قراءة آحاد مخالفة للسواد ، فلا يعتد بها.

٤ - على أن العلماء مع اتفاقهم جميعا دون استثناء ، على أنها ليست قرآنا ، قد اختلفوا في اعتبارها حديثا ، وهي على أحسن تقدير تفسير صحابي[2].

قلت : ويضاف إلى ما ذكر الدكتور النبهان في تضعيف هذا القول ما يأتي :

---

١ - يشير إلى بعض الروايات التي مرت.

٢ - المنار في علوم القرآن للدكتور محمد الحسن ص :١٠٧. مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م



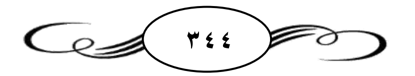
أولا: أنــه يترتــب عليــه أن الأحــرف الســبعة غيــر منزلــة ، وإنمــا المنــزل منهــا فقــط : قصــد التهــوين ، والتيســير علــى الأمــة ، بحيــث يقـرأ كـل واحـد مـن لغتـه بمـا يشـاء ممـا يتيسـر لـه ، ولا يشـق عليـه بشـرط أن يكـون بلغـة العـرب ، كـي لا يخـل بعربيـة القـرآن ، وبشـرط آخـر : أن يقـرأ بـالمرادف حتـى لا يتغيـر المعنـى ، كـأن يحيـل الرحمـة إلــى عــذاب أو العكــس. والنــاظر فــي أحاديــث نــزول القــرآن علــى الأحـرف السـبعة يعلـم أنهـا منزلـة بـالوحي بصـريح قـول رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – لاحـظ مـا جـاء فـي حـديث الشـيخين السـابق فــي أول الأدلــة قــال رســول الله – صــلى الله عليــه وســلم : أقرأنــي جبريـل علـى حـرف فراجعتـه ....) لاحـظ قولـه عليـه السـلام أقرأنـي جبريـل ..)، وفـي الحـديث الثـاني : انظـر إلـى حـوار عمـر مـع هشـام فقلـت: مـن أقـرأك هـذه السـورة؟ قـال: أقرأنيهـا رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم. لاحـظ قولـه : مـن أقـرأك؟ وقولـه : أقرأنيهـا ، فلـيس الأمـر إذن محل اختيار.

قـال الإمـام ابـن حجـر : إن الإباحـة المـذكورة لـم تقـع بالتشـهي أي إن كـل أحـد يغيـر الكلمـة بمرادفهـا فـي لغتـه ، بـل المراعـى فـي ذلـك السماع من النبي – صلى الله عليه وسلم[١]

ثانيـا : أن هـذا القـول يفيـد أن القـراءة بـالمرادف كانـت متاحـة للصـحابة ، وهـذا قـول خطيـر ، لأنــه يفـتح بابـا عظيمـا مـن التغييـر والتبـديل ، مـع أنـه مـن الثابـت شـرعا ، المقـرر لـدى كـل ذي عقـل أنـه

---

١ – فتح الباري لابن حجر ٩/ ٢٧



ليس للنبي – صلى الله عليه وسلم – ولا لأحد كائنا من كان أن يبدل حرفا ، أو لفظة من تلقاء نفسه ، ثم إن هذا القرآن المعجز لو حذفت كلمة منه ، ثم أجهدت نفسك باحثا في لسان العرب كله على أن تأتي بكلمة بدلها تؤدي نفس معنى الكلمة القرآنية ما استطعت ، مثلا : كلمة هلم ، أو أقبل ، أو نحوي، لا يمكن أن تسد مسد كلمة : تعالى ، من قوله سبحانه : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ)[1] ، لا في اللفظ ، ولا في أداء المعنى الدقيق لهذه الكلمة. ، و كلمة أقوم في قوله تعالى : (وَأَقْوَمُ قِيلًا)[2] ، لا يمكن لكلمة مثل: أهيأ وأصوب . أن تؤدي نفس معناها . و كلمة (طَعَامُ الْأَثِيمِ)[3] ، لا يمكن لكلمة : «طعام الفاجر» أو : طعام اللئيم ، أو طعام اليتيم أن تؤدي نفس معناها. وهكذا.[4]

ثالثا : أن هذه الروايات ، ولا سيما الأثر الأخير لا يقول به عاقل، يقول شيخنا الأستاذ الدكتور / إبراهيم خليفة رحمه الله:

هذا الأثر فوق كونه مرسلا ، لا يصلح مثله ولا سيما في معرض الحجاج على هذه المطالب العلية ، هو من الكذب المفترى

---

١ – سورة الأحزاب ، آية : ٢٨

٢ – سورة المزمل ، آية : ٦

٣ – سورة الدخان ، آية : ٤٤

٤ – المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره للدكتور محمد علي الحسن ص ١٠٧ ، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م



علـى رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم ...وعلـى فـرض صـدور هـذا مـن أحـد كـان يكتـب الـوحي لرسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم فإنـه لا يصـدر منـه إلا حـال ردتـه ، بـل بلوغـه مـن هـذه الـردة أقـبح مبلـغ ، إذ كيـف يكـل إليـه رسـول الله– صـلى الله عليـه وسـلم – أمـر القـرآن يضع فيه ما يشاء ، ويحذف منه ما يشاء[1] ،

رابعـا – أن هـذا القـول يترتـب عليـه جـواز روايـة القـرآن بـالمعنى، وهـذا قـول باطـل ، وإن كـان هـذا ظـاهر لفـظ الإمـام الطبـري فـي تفسـيره ، انظـر إلـى اسـتدلاله بقولـه – عليـه الصـلاة والسـلام : إن القـرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذابا ، أو عذابا رحمة" .

قال أبو بكر الباقلاني:

القـراء السـبعة متبعـون فـي جميـع قـراءاتهم الثابتـة عـنهم ، التـي لا شـكوك فيهـا ، ولا أنكـرت علـيهم ، بـل سـوغها المسـلمون ، وأجازوهـا لمصـحف الجماعـة ، وقـارئون بمـا أنـزل الله جـل ثنـاؤه ، وأن مـا عـدا ذلـك مقطـوع علـى إبطالـه وفسـاده وممنـوع مـن إطلاقـه ، والقـراءة بـه ، وأنـه لا يجـوز ولا يسـوغ القـراءة علـى المعنـى دون اتبـاع لفـظ التنزيـل، وإيـراده علـى وجهـه ، وسـببه الـذي أنـزل عليـه ، وأداه الرسول[2].

---

١ – الإحسان في علوم القرآن للأستاذ الدكتور / إبراهيم خليفة ص١٢٣ بدون تاريخ

٢ – الانتصار للقرآن للباقلاني ٦٥/١ . : دار الفتح – عمان، دار ابن حزم – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م



وقال ابن الجزري:

أما من يقول بأن بعض الصحابة ، كابن مسعود ، كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه. إنما قال : نظرت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرأوا كما علمتم[1].

وقال القاضي الحموي[2] :أما ما نقل عن الصحابة بأنهم يجيزون القراءة بالمعنى دون اللفظ كالذي نسب لابن مسعود فلا يصح[3].

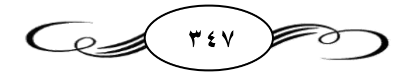
خامسا – وفوق هذا وذاك ، فإن هذا القول أيضا يفتح بابا للمستشرقين لا محالة ليؤكدوا على أن قراءة القرآن بالمعنى كانت متاحة ، وهذه القضية بلا ريب من أخطر ما يكون ، لأنها جعلت

---

١ – النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٤٤/١ . المطبعة التجارية الكبرى – تصوير دار الكتاب العلمية

٢ – هو أحمد بن عمر بن محمد أبو الرضى شهاب الدين أبو الحسين الحموي الأصل الشافعي . وكان فاضلا عالما كثير الاستحضار عارفا بالقراءات وله فيها نظم سماه «عقد البكر»، وله نظم في أشياء متعددة. وكانت دروسه حافلة والثناء عليه وافرا. ثم كان ممن قام على الظاهر برقوق وأنكر سلطته فسعى به إليه فتطلبه فاختفى مدة وحج فيها، أعدم في مستهل ذي القعدة سنة (٧٩١). ينظر : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء لمحمد الطباخ الحلبي ٥/ ١٠٢ . دار القلم العربي حلب الطبعة الثانية سنة١٤٠٨ هـ

٣ – القواعد والإشارات في أصول القراءات لأحمد بن عمر الحموي ص ٢٨ دار القلم، دمشق الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م



النص القرآني خاضعا لهوى كل شخص، يثبته على وفق ما يروق له[1].

سادسا – يترتب عليه كذلك أن إعجاز القرآن يمكن أن يتحقق بكلام الخلق . وهو ما لا يتصور.

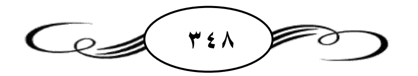
سابعا – يترتب عليه أن القرآن فيه من كلام الناس ، وهذا ما لا يقول به مسلم .

ثامنا – أن ما ذكر في هذه الأحاديث هو –كما قال ابن عبدالبر– من قبيل ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها وأنها معان : مختلف ألفاظها ، متفق معناها ، لا يكون في شيء منها معنى وضده[2].

تاسعها – أن هذا القول الباطل قد ألجأ القائلين به إلى الوقوع في محظور كبير ، ألا وهو القول بأن ستة من الأحرف السبعة لم يعد لها وجود البتة ، وأن الأمة على عهد عثمان – رضي الله عنه – قد أجمعت على أن إلغاء ستة أحرف منزلة ،

١ – انظر مثلا ما كتبه المستشرق جولد تسيهر في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي من افتراءات حول هذا الموضوع ترجمة د / عبدالحليم النجار ص : ٦ وما بعدها مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد

٢ – التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبدالبر ٨/ ٢٨٣ : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب : ١٣٨٧ هـ



والإبقـاء علـى حـرف واحـد فقـط[1] . ، قـالوا : وذلـك بسـبب اخـتلاف الناس في قراءات القرآن

قلـت : وهـذا القـول مـنهم – أعنـي القـول بالنسـخ – يحتـاج إلـى دليـل مـن كتـاب أو سـنة ، وهـذا مـا لا وجـود لـه ،ومـا ذكـروه دلـيلا لهـم علـى ذلـك مـن اخـتلاف النـاس فـي شـأن القـراءات لا يصـلح أن يكـون مسـتندا لهـم فـي القـول بهـذا ، لاسـيما وقـد تنـازع النـاس علـى عهـد الرسـول – صـلى الله عليـه وسـلم – أيضـا فـي قـراءات القـرآن علـى حـروف مختلفـة كمـا رأيـت فـي الروايـات السـابقة ، ومـع ذلـك أقـرهم الرسـول – صـلى الله عليـه وسـلم – علـى هـذه الحـروف المختلفـة ، وقررها فـيهم ، وحملهـم على التسليم بهـا مـن خـلال مـا قـد أخبـرهم بـه مـن إنـزال القـرآن علـى سـبعة أحـرف ، ثـم مـا المـانع أن يقتـدي الصـحابة بـه فـي هـذا الشـأن ؟كيـف لا ؟ ، وهـم صـفوة الأمـة وخيارهـا، وأحـق مـن اقتـدى بـه عليـه السـلام . بـل إن هـذا هـو الحاصـل بحـق مـن خـلال صـنيع الصـحابة مـع القـرآن علـى عهـد عثمـان – رضـي الله عـنهم أجمعـين – مـن نسـخ مصـاحف عـدة نقـلا عـن الصـحف البكريـة ، والتـي نقلـت عمـا كتـب أمـام رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم مشـتملة فـي مجموعهـا علـى الأحـرف السـبعة مـع إرسـال مصـحف لكـل بلـد ، ومـع كـل مصـحف معلـم يعلـم النـاس

---

١ – يقول مكي بن أبي طالب : يرى الطبري أن ما اختلف القراء فيه، هو حرف واحد من الأحرف السبعة. الإبانة عن معاني القراءات مكي بن أبي طالب ص : ١٣١ دار نهضة مصر للطبع والنشر ، و جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي ٢/ ٥٧١ مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م



حرفا تعلمه من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويتفق مع خط المصحف الذي أرسل به، ثم يعلم الناس أن القرآن قد أنزل على سبعة أحرف اقتداء برسول الله – صلى الله عليه وسلم – في تعليمه لعمر وهشام وأبي ..الخ حتى إذا التقوا في الحج ، أو الجهاد ، أو التجارة مثلا لا ينكر بعضهم على بعض إذا استمعوا من غيرهم حرفا فيه غير ما عندهم.

– نقول لهم أيضا : كيف يوافق أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على ضياع ستة حروف نزل عليها القرآن ، على حين أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قرر بقوله وفعله أنه لا يجوز لأحد أن يمنع أحدا من القراءة بحرف من السبعة . فقد صوب – عليه السلام – قراءة كل من المختلفين وقال لكل: "هكذا أنزلت" وضرب في صدر أبي بن كعب حين استصعب عليه التسليم بهذا الاختلاف في القراءة.

يقول أبو عمرو الداني : وأنه – يقصد سيدنا عثمان رضي الله عنه – لم يسقط شيئا من القراءات الثابتة عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولا منع منها ، ولا حظر القراءة بها ، إذ ليس إليه ولا إلى غيره أن يمنع ما أباحه الله تعالى وأطلقه وحكم بصوابه، وحكم الرسول – صلى الله عليه وسلم – للقارئ به أنه محسن مجمل في قراءته ، وأن القراء السبعة ونظائرهم من الأئمة متبعون في جميع قراءاتهم الثابتة عنهم التي لا شذوذ فيها ، وأن ما عدا ذلك مقطوع على إبطاله وفساده ، وممنوع من إطلاقه



والقراءة بـه ، فهذه الجملة التي نعتقدها ونختارها في هذا الباب ، والأخبار الدالة على صحة جميعها كثيرة[1]

ويقول الإمام ابن حزم رحمه الله:

وأما القول بأن عثمان – رضي الله عنه – جمع الناس على مصحف واحد ، وأسقط ستة أحرف من الأحرف المنزلة ، واقتصر على حرف منها ، فهو ظن ظنه ذلك القائل ، أخطأ فيه ، وليس كما قال ، بل كل هذا باطل ببرهان كالشمس ، وهو أن عثمان – رضي الله عنه – لم يك إلا وجزيرة العرب كلها مملوءة بالمسلمين والمصاحف والمساجد ، والقراء يعلمون الصبيان والنساء وكل من دب وهب ، وكذلك اليمن ، والبحرين ، وعمان ، ومكة ، والطائف، والمدينة ، والشام ، ومصر، والكوفة ، والبصرة ، وفي كل هذه البلاد من المصاحف والقراء ما لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وحده ، فلو رام عثمان ما ذكروا ما قدر على ذلك أصلا ، وأما قولهم أنه جمع الناس على مصحف فباطل ، ما كان يقدر على ذلك لما ذكرنا ، ولا ذهب عثمان قط إلى جمع الناس على مصحف كتبه ، إنما خشي – رضي الله عنه – أن يأتي فاسق يسعى في كيد الدين ، أو أن يهم واهم من أهل الخير فيبدل شيئا من المصحف يفعل ذلك عمدا وهذا وهما ، فيكون اختلاف يؤدي إلى الضلال ، فكتب مصاحف مجتمعا عليها ، وبعث إلى كل أفق

---

١ – الأحرف السبعة للقرآن لأبي عمرو الداني ص ٦٣ مكتبة المنارة – مكة المكرمة – الطبعة الأولى ١٤٠٨



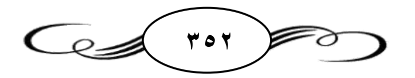
مصحفا ، لكي إن وهم واهم ، أو بدل مبدل ، رجع إلى المصحف المجتمع عليه ، فانكشف الحق ، وبطل الكيد والوهم فقط ، وأما قول من قال أبطل الأحرف الستة فقد كذب من قال ذلك ، ولو فعل عثمان ذلك أو أراده لخرج عن الإسلام ، ولما مطل ساعة ، بل الأحرف السبعة كلها موجودة عندنا قائمة كما كانت مثبوتة في القراءات المشهورة المأثورة والحمد لله رب العالمين[1].

ويقول الشيخ الزرقاني :

وكيف ينسب إليه – يعني عثمان رضي الله عنه – هذا؟ والمعروف أنه نسخ المصاحف من الصحف التي جمعت على عهد أبي بكر – رضي الله عنه– قبل أن يدب النزاع في أقطار الإسلام بسبب اختلاف حروف القراءة في القرآن. فكانت تلك الصحف محتملة للأحرف السبعة جميعا وموافقة لها جميعا ضرورة أنه لم يحدث وقتئذ من النزاع والشقاق ما يدعو إلى الاقتصار على حرف واحد في رأيهم. ولم يثبت أن الصحابة تركوا من الصحف المجموعة على عهد أبي بكر حرفا واحدا ، فضلا عن ستة حروف، ولو كان ذلك لنقل إلينا متواترا ، لأنه مما تتوافر الدواعي على نقله تواترا.

ثم كيف يفعل عثمان – رضي الله عنه – ذلك ؟ وهو الذي عرف أن علاج الرسول – صلى الله عليه وسلم – لمثل هذا النوع

١ – الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٢/ ٦٤مكتبة الخانجي – القاهرة بدون تاريخ.



الـذي دب فـي زمانـه ، كـان بجمـع النـاس وتقريـرهم علـى الحـروف السـبعة ، لا بمـنعهم عنهـا كـلا أو بعضـا. ثـم كيـف يفعـل عثمـان ذلـك وتوافقـه الأمـة ويـتم الإجمـاع؟ ثـم يكـون خـلاف فـي معنـى الأحـرف السـبعة مـع قيـام هـذا الإجمـاع ، أي: كيـف تجمـع الأمـة علـى تـرك سـتة أحـرف وإبقـاء حـرف واحـد؟ ثـم يختلـف العلمـاء فـي معنـى الأحـرف السـبعة علـى أربعـين قـولا ، ويكـادون يتفقـون رغـم خلافهـم هـذا علـى أن الأحـرف السـبعة باقيـة مـع أن الإجمـاع حجـة عنـد المسلمين ، وبه ينجلي ظلام الشك عن وجه اليقين.

ولنفـرض جـدلا أن نـزاع المسـلمين فـي أقطـار الأرض أيـام خلافـة عثمـان – رضـي الله عنـه – قضـى عليـه أن يجمـع المسـلمين علـى حـرف واحـد فـي القـراءة ، فلمـاذا لـم تسـمح نفسـه الكريمـة بإبقـاء السـتة الأحـرف الباقيـة للتـاريخ لا للقـراءة مـع أن الضـرورة تقـدر بقـدرها ؟ وهـذه السـتة الأحـرف لـم تنسـخ لا تـلاوة ولا حكمـا حتـى تـذهب بجـرة قلـم كـذلك، ثـم يبخـل عليهـا بالبقـاء للتـاريخ وحـده فـي أعظـم مرجـع وأقـدس كتـاب ، وهـو القـرآن الكـريم. علـى حـين أن الصـحابة – رضـوان الله علـيهم أجمعـين – حفظـوا للتـاريخ آيـات نسـخت تلاوتهـا ونسـخت أحكامهـا جميعـا. وعلـى حـين أنهـم حفظـوا قـراءات شـاذة فـي القـرآن ، ثـم نقلـت إلينـا ، وكتـب لهـا الخلـود إلـى اليـوم ، والـى مـا بعـد اليـوم. بـل نقلـوا إلينـا أحاديـث منسـوخة ،

وتناقل العلماء أحاديث موضوعة ، ونصوا على حكم كل منها ، وعلى إهمال العمل بها[1].

<u>القول الثاني[2] :</u>

أن المراد بالأحرف السبعة : سبع لغات من لغات العرب ، متفرقة على كل القرآن بمعنى أن القرآن لا يخرج عن سبع لغات من لغات العرب ، ثم اختلفوا في تعيين هذه القبائل على قولين:

- أحدها : أنها لغة قريش[3] ، وهذيل[4] ، وثقيف[5] ،

---

١ - مناهل العرفان للزرقاني ١٧٦/١وما بعدها بتصرف.

٢ - المرجع السابق ١/ ١٢٧

٣ - قريش، قبيلة من قبائل العرب الكبيرة في شبه الجزيرة العربية ، وإليها ينتسب رسول الله – صلى الله عليه وسلم . وقريش: اسم مأخوذ من لقب أحد أعلام هذه القبيلة. وهم أفصح العرب . ينظر : لسان العرب حرف الشين فصل القاف ٦/ ٣٣٦ ، وتاج العروس مقدمة الزبيدي ٥٧/١، ٧/ ٣٦٣. بتصرف.

٤ - هذيل بضم الهاء وفتح الذال وبعدها لام ، هذه النسبة إلى هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وأكثر أهل وادي نخلة بالقرب من مكة من هذيل ، ينسب إليه كثير من العلماء منهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ينظر : اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ٣٨٣/٣ دار صادر – بيروت

٥ - ثقيف بطن من هوازن، من العدنانية، اشتهروا باسم أبيهم، فيقال لهم: ثقيف، وهم: بنو ثقيف، واسمه قسيّ بن منبه بن بكر بن هوازن ، كان مواطن ثقيف بالطائف ، وكانت تعبد صنما يقال له: اللات ، ويسمونها الربة، ويضاهون بها بيت الله الحرام بمكة . .ينظر : الاغاني للأصفهاني طبة دار الكتب المصرية ج ٢ ص ٤٧ ج ==



وهوازن[1] ، وكنانة[2] ، وتميم[3] ، واليمن[4] ، وهي أفصح لغات العرب. قال بعضهم: هذا أصح الأقوال وأولاها بالصواب ، وهو الذي عليه أكثر العلماء ، وصححه البيهقي، واقتصر عليه صاحب القاموس. وقال أبو عبيد: ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات ، بل اللغات السبع مفرقة فيه ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة

==

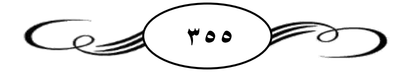
١٠ ص ٣٠- ٣٣ ، ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر بن رضا بن محمد كحالة ١٤٨/١ مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة السابعة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤

١ - هوازن جدٌّ قبيلةٍ كبيرة من قبائل العرب وبنوه بطونٌ كثيرة، وهو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، وهوازنُ جمع هَوْزن، وهو ضربٌ من الطّير. وكانت منازل هذه القبيلة ما بين غور تهامة إلى ناحية السراة والطائف.

٢ - تنتسب قبيلة «كنانة» إلى كنانة بن خُزَيمة بن مُدرِكة بن اليأس بن مضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان. وتتفرع من هذه القبيلة قبائل وبطون كثيرة وأشهر ولدها: النَّضْر، وعبد مناة، ومَلْك، ومِلْكان. فولد النضر بن كنانة مالكاً، وولد مالك فهراً، ومن فهر قبيلة رسول الله قريش. .ينظر : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندي ص : ١٣٤ .دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م

٣ - هم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة، وطابخة من العدنانية ، وكانت منازلهم بأرض نجد من هنالك على البصرة واليمامة، وامتدت إلى أرض الكوفة، ثم تفرقوا بعد ذلك في الحواضر. ينظر : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس القلقشندي ١٨٨/١ دار الكتاب اللبناني، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م

٤ اليمن : البلد المعروف ، وعربها : هم حمير، والمشهور أنهم من قحطان ، والجمهور أن العرب القحطانية من عرب اليمن وغيرهم ليسوا من سلالة إسماعيل عليه السلام. ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي ٥٥/١ بتصرف.



هـذيل، وبعضــه بلغــة هــوازن ، وبعضــه بلغــة الـيمن وغيـرهم. قــال: وبعـض اللغـات أسـعد بـه مـن بعـض ، وأكثـر نصـيبا ، وقيـل فـي عـد القبائل السبع : آراء أخر.

ثانيهـا : أنهـا قبائـل مضـر خاصـة ، وأنهـا متفرقـة فـي القـرآن. وأن تلــك القبائــل الســبع هــي : قــريش ، وكنانــة ، وأســد ، وهــذيل ، وتميم ، وضبة ، وقيس. واستدل القائلون بهذا بعدة أدلة منها:

الأول : أخــرج أبــو عبيــد فــي فضــائله ، وابــن جريــر ، وابــن الأنبــاري[1] ، عـن ابـن عبـاس – رضـي الله عنــه – قـال: كنـت لا أدري مــا فــاطر الســموات والأرض؟ حتــى أتــاني أعرابيــان يختصــمان فــي بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها[2].

---

١ – هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة أبو بكر ابن الأنباري ، كان صدوقا ، فاضلا ، دينا ، من أهل السنة، وكان من أعلم الناس بالنحو والأدب ، وأكثرهم حفظا له ، وصنف كتبا كثيرة في علوم القرآن ، وغريب الحديث ، وغير ذلك ، مات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ٣١١/٦. دار صادر بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٨. هـ

٢ – أخرجه الطبري في تفسيره ٢٨٣/١١ الأثر رقم ١٣١١١ وابن أبي حاتم في تفسيره تفسير القرآن العظيم١٠/ ٣١٧٠ الأثر رقم ١٧٩١٥ تحقيق أسعد محمد الطيب مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية الطبعة الثالثة – ١٤١٩ هـ ، والإمام الشافعي في مسنده ٧٤/١ – رتبه على الأبواب الفقهية: محمد عابد السندي عرف للكتاب وترجم للمؤلف محمد زاهد بن الحسن الكوثري دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٣٧٠ هـ – ١٩٥١ م ، والفريابي في الكنى والأسماء ٢٥٢/١ رقم ٤٤٧ دار ابن حزم – بيروت لبنان– الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م ، ==



وقال أيضا: «ما كنت أدري معنى قوله: (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ)[1] حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها: تعال أفاتحك أي أحاكمك[2]» .

الثاني – ما جاء عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه ، أنه كان لا يفهم معنى قوله تعالى: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ)[3] فوقف به فتى . فقال: إن أبي يتخوفني حقي ، فقال عمر: الله أكبر، أو يأخذهم على تخوف أي على تنقص لهم[4] .

الثالث – بما روي عن أبى بكر – رضي الله عنه– وقد سئل عن معنى الأب، فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به[5]

==

والبيهقي في الأسماء والصفات – باب جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع إثبات الإبداع والاختراع له١/٧٨ رقم ٤٠، وفي شعب الإيمان في الباب السابع عشر من شعب الإيمان وهو باب في طلب العلم٣ /٢١

١ – سورة الأعراف ، آية : ٨٩

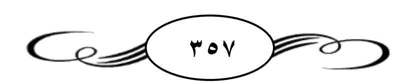
٢ – أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات – جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه ١/١٦٤ رقم ١٠٧ وابن أبي شيبة في مصنفه باب ما يفسر بالشعر من القرآن. ١٥/٤٥٢ رقم ٣٠٦٠٥

٣ – سورة النحل آية :٤٧

٤ – أخرجه الطبري (٧/ ٥٨١) (٢١٦١٨) بنحوه. وذكره السيوطي في «الدر» (٤/ ٢٢٣) ، وعزاه لابن جرير.

٥ – قال الحافظ ابن حجر في "الكافي الشاف" صفحة (١٨٢) "رواه أبو عبيد في "فضائل القرآن" حدثنا محمد بن يزيد عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي، أن أبا

==



الرابـع – بمـا روي أن عمـر بـن الخطـاب – رضـي الله عنـه – قـرأ هـذه الآيـة مـرة، فقـال: كـل هـذا قـد عرفنـا.. فمـا الأب ؟ قـالوا: ثـم رفـض عمـر عصـا كانـت بيـده- أي كسـرها غضـبا علـى نفسـه، ولومـا لهـا- وقـال: هـذا لعمـرو الله التكلـف ومـا عليـك يـا ابـن أم عمـر أن لا تـدرى مـا الأب؟» .. ثـم قـال: «اتبعـوا مـا تبـين لكـم مـن هـذا الكتـاب، ومالا، فدعوه [1]..

قلت : وهذا القولان ضعيفان لوجوه:

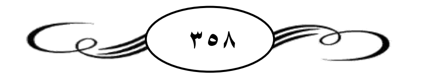
أولهـا : أن مـا اسـتدلوا بـه فـي مجملـه لا يخلـو مـن وجـه ضـعف سندا أو متنا.

ثانيهـا : وعلـى فـرض التسـليم الجـدلي بصـحة بعضـها سـندا كتلـك الروايـة المنسـوبة لسـيدنا عمـر – رضـي الله عنـه – فإنـا

==

بكر – رضي الله عنه – سئل عنه، فذكره – ورواه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد من هذا الوجه. وهذا منقطع. ورواه يحيى الحماني وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" صـ (٣٥٣) من طريقه من رواية إبراهيم النخعي عن أبي معمر عن أبي بكر وذكره"

١ – ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٨ / ٤٢١-٤٢٢ وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر، وابن مردويه والبيهقي في "الشعب" والخطيب ، قال : وأورده ابن كثير في تفسيره وقال بعد أن ساق رواية الطبري: ٤ / ٤٧٤: "وهذا إسناد صحيح وقد رواه غير واحد عن أنس به، وهو محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض كقوله: (فأنبتنا.. الآية)



نقول: لا يلزم من صحة السند صحة المتن كما يقول المحدثون[1] ، وكيف يقال بصحة هذه الروايات التي تصرح بعدم معرفة هؤلاء الأعلام لمعاني هذه الكلمات ، وهم في اللغة أئمة ، وللبيان سادة، وللفصاحة قادة، وبمسالك اللغة ، ودروبها ، وفنونها أدرى وأخبر من غيرهم ؟ وكيف يجهل علم من أعلامهم كابن عباس مثلا معرفة ذلك؟ ، وهو الذي دعا له رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أن يفقهه الله في الدين ، وأن يعلمه التأويل[2].

---

١ – قال ابن الصلاح : وقد يقدح في صحة الإسناد خاصة من غير قدح في صحة المتن. مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح لعثمان بن الصلاح الشافعي .ص: ٢٦٠ دار المعارف. وقال البقاعي : أنه لا ملازمة بين صحة المتن، وصحة السند. النكت الوفية بما في شرح الألفية لبرهان الدين البقاعي ١/ ٢٩١ . مكتبة الرشد الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م .و ينظر : توجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر السمعوني ١/ ١٩٠ . تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م . شرح كتاب الموقظة للشيخ عبدالعزيز بن محمد السعيد ص : ٢٢٤ بدون بيانات. وعلم التخريج ودوره في حفظ السنة النبوية لمحمد محمود بكار ص : ٥٨ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة. منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر ص : ٢٧٤. دار الفكر دمشق – سورية الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ –١٩٨١ م

٢ – أخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وضع يده على كتفي أو على منكبي، شك سعيد، ثم قال: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل مسند عبدالله بن عباس حديث رقم ٢٨٧٩، والحاكم في مستدركه في كتاب المناقب – ذكر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما و، وقال صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي.



ثالثها : أن هذه الآيات جاءت في سور مكية، ومعنى هذا أن هذه الآيات تليت على مسامعهم كثيرا ، وعليه فلا يعقل- مع هذا- أن تظل كلمة (الأب) مثلا خفية الدلالة على أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ثم لا يتوجهون إليه- صلوات الله وسلامه عليه- بالسؤال عنها طيلة حياته كلها ، إن كان معناها غائبا عنهم.

رابعها : - جاء في الشعر العربي الجاهلي شواهد عدة تدل على أن العرب كانوا يعرفون كلمة الأب ، ويستعملونها في المعنى المناسب لها..

ومن ذلك قول الأعشى[1] :

جَدُّنا قيسٌ ونجدٌ دارُنا ... ولنا الأبُّ بها والمكرعُ [2]

سلمنا بصحة هذه الروايات ، لكنها رغم ذلك لا تصلح أن تكون دليلا لهم بحال لوجوه:

---

١ – هو ميمون بن قيس بن جندل الوائلي، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل والأعشى الكبير، من شعراء الجاهلية الكبار أصحاب المعلقات، . انظر: طبقات فحول الشعراء، للجمحي ج١ ص : ٥٣ وما بعدها . دار المدني – جدة

٢ – جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي تحقيق رمزي منير بعلبكي دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٧م والجذم: الأصل ، والمكرعات: النخل التي على الماء، والمكرع: الماء نفسه.

أحدها: أن في القرآن الكريم ألفاظا كثيرة من لغات قبائل أخرى غير السبعة التي عدوها ، مثل : كلمة (سَامِدُونَ)[1] في قوله تعالى: (وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ)[2] ، فإنها بالحميرية، ومثل : كلمة (خَمْراً)[3] في قوله: (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً)[4] ، فإنها بلغة أهل عمان ، لأنهم يسمون العنب خمرا أي : حقيقة لا مجازا. ومثل : كلمة (بَعْلاً)[5] في قوله تعالى:

---

١ – قال الخليل : السُّمود في الناس : الغفلة والسهو عن الشيء، وقوله– عز وجل–: (وَأَنْتُمْ سامِدُونَ) أي ساهون لاهون . قال أبو عبيد: والسمود أيضا : اللهو والغناء يقال: السامدون اللاهون . وعن ابن عباس في قوله تعالى(وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ): سامدون قال: الغناء في لغة حمير أسمدي لنا أي غني لنا. ينظر : كتاب العين للخليل بن أحمد ٧/ ٢٣٥. وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلاّم ٣/٤٨١. مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م

٢ – سورة النجم آية : ٦١

٣ – قال ابن سيده في قوله : ....(إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً) وأهل عمان يسمون العنب : خمرا. وعن ابن عباس في لغة أزد عمان في القرآن قوله تعالى: (أَعْصِرُ خَمْراً)، قال: عنباً؛ وذلك أنهم يسمون العنب خمراً. القاموس الفقهي للدكتور سعدي أبو حبيب ص : ١٢٣. دار الفكر. دمشق – سورية الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م. الإبانة في اللغة العربية لسلمة بن مسلم العوبي الصحاري ١/ ٣٦ وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط – سلطنة عمان الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م

٤ – سورة يوسف آية : ٣٦

٥ – قال ابن دريد : البعل: الزوج. وبعل الشيء: ربه ومالكه. وقال بعض أهل التفسير في قول الله عز وجل: (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) أي ربا. وذكر أبو عبيدة أنه صنم. قال ابن عباس رضي الله عنه: لم أدر ما البعل في القرآن حتى رأيت أعرابيا فقلت: لمن هذه الناقة؟ فقال: أنا بعلها أي ربها. والبعل: اسم صم كان ==



(أَتَدْعُونَ بَعْلاً)[1] أي ربا بلغة أزد شنوءة[2] ،

ومثل كلمة (تُسِيمُونَ)[3] بمعنى ترعون في قوله تعالى: (فِيهِ تُسِيمُونَ)[4] ، فإنها بلغة خثعم[5] إلى غير ذلك.

==

لقوم إلياس عليه السلام. ينظر :جمهرة اللغة لا بن دريد ١/ ٣٦٥. دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٧م. و تهذيب اللغة للأزهري ٢/٢٥٠.: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى، ٢٠٠١م. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ٤/ ١٦٣٥ .دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

١ – سورة الصافات آية : ١٢٥

٢ – شنوءة: بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة ثم همزة مفتوحة، وهاء: مخلاف باليمن، بينها وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخا، تنسب إليها قبائل من الأزد يقال لهم أزد شنوءة، والشناءة مثل الشناعة: البغض ، والفرسخ قيل : ٣ أميال = ١٢٠٠ ذراعا = ٥٥٤٤ مترا ". معجم البلدان لياقوت الحموي ٣/٣٦٨معجم لغة الفقهاء ، لمحمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي ص : ٤٥١. دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٣ – يقال : سامت الراعية تسوم، وأسمتها أنا. قال الله تعالى: (فِيهِ تُسِيمُونَ) ، أي ترعون. معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١/١١٨ دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٤ – سورة النحل ، آية : ١٠

٥ – خثعم: أبو قبيلة، وهو خثعم بن أنمار من اليمن، ويقال: هم من معد، وصاروا باليمن. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ٥/ ١٩٠٩. دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م



وحسبك في هذا المقام ما نقله الواسطي[1] في كتابه الذي وضعه في القراءات العشر إذ يقول: إن في القرآن من أربعين لغة عربية وهي قريش ، وهذيل ، وكنانة ، وخثعم...إلخ[2]

ثانيها : قلت : هذا القول لو صح لكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد قرأ القرآن بطريقة واحدة ، وعندئذ لن يختلف الصحابة ، وبالتالي لا يكون هناك داع لأن يحتكموا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، وهذا يغاير ما ورد في الأحاديث السابقة.

ثالثها : وحتى لو احتكموا إليه – عليه السلام – لما صوب قراءة الجميع ، بل يصوب واحدا منها فقط ، لكنك عندما تقرأ الأحاديث السابقة تجد خلاف ما قالوا.

وأما القول الثالث فباطل لما يأتي:

أولا : هو مردود بما رددنا به سابقه ، بل هذا أدنى إلى البطلان ، لأنه أخص مما قبله الذي دحضناه من جهة خصوصه فكيف هذا؟

---

١ - هو علي بن محمد بن أبي سعد بن عبد الله، أبو الحسن الواسطي المعروف بالديواني: خاتمه المقرئين بواسط. مولده ووفاته فيها. له " جمع الأصول في القراءات وروضة التقرير في الخلف بين الارشاد والتيسير، وارجوزة نظم اللوامع في الشواذ. وتوفي سنة ثلاث واربعين وسبعمائة. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٧/ ٢٠٠ مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت والأعلام للزركلي ٥/٥ دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م

٢ – مناهل العرفان للزرقاني ١/ ١٨١



ثانيـا : أن فــي قبائــل مضــر شــواذ ينــزه عنهــا القــرآن الكــريم ، مثــل : كشكشــة قــيس[1] ، وهــي جعــل كــاف المؤنــث شــينا ، فيقولــون فــي قولــه تعــالى : (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً)[2] قد جعل ربش تحتش سـريا. ومثــل تمتمــة تمــيم[3] الــذين يجعلــون الســين تــاء فيقولــون فــي

١ – قال الخطابي : فأما الذين من لغتهم أن يجعلوا كاف خطاب المؤنث شينا فهم بكر، وتسمى هذه كشكشة, وبها قرأ من قرأ منهم: (إن الله اصطفاش وطهرش) الكتاب: غريب الحديث للخطابي. ٣/ ٦١٩ دار الفكر – دمشق ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م ونسب بعضهم الكشكشة لربيعة كابن جني في الخصائص ٣/١٥١. ونسبها المبرد لتميم ينظر الكامل للمبرد ١/ ٥٠١. قال صاحب اللسان : وربما زادوا – يقصد تميم – على الكاف شينا في الوقف، فقالوا: مررت بكش، لسان العرب ٤/ ١٧٦. وأضاف الزبيدي : مضر وأسد . ينظر تاج العروس ١/ ٢٢. قلت : ولم أجد من نسبها إلى قيس فيما وقع تحت يدي من مراجع. والله أعلم.

٢ – سورة مريم ، آية : ٢٤

٣ – ذكرها صاحب اللسان ونسبها لبعض العرب فقال : من العرب من يجعل السين تاء، وأنشد لعلباء بن أرقم:

يَا قَبَّحَ اللَّهُ بَنِي السعْلاةِ، ... عَمْرو بْنَ يَرْبُوعٍ شِرارَ الناتِ،

لَيْسُوا أَعِفَّاء وَلَا أَكْياتِ يريد: الناس والأكياس لسان العرب لابن منظور ١٣/ ٢٢٩. ومثله فعل الزبيدي ينظر تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي ٥/ ١٣٠ و الخصائص لابن حني ٣/١٦. ونسبها ابن معصوم لقضاعة. ينظر: الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول لابن معصوم المدني ٣/ ٣٢١ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث. ولم أجد من نسبها إلى تميم فيما وقع تحت يدي من مراجع. والله أعلم.



الناس النات ، مع أن هذه لغات لم يحفظ منها شيء في القرآن الكريم[1] .

<u>ثانيا : الأقوال التي لا دليل عليها ، وهي :</u>

القول الثالث ، والرابع ، والخامس[2]

أن المراد بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن سبعة أصناف في القرآن وأصحاب هذه الأقوال يختلفون في تعيين هذه الأصناف. وفي أسلوب التعبير عنها إلى آراء تكمل بها العدة أربعين قولا.

فمنهم من يقول: إنها : أمر ، ونهي ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال.

ومنهم من يقول: إنها : وعد ، ووعيد ، وحلال ، وحرام ، ومواعظ ، وأمثال ، واحتجاج.

ومنهم من يقول: إنها: محكم ، ومتشابه ، وناسخ ، ومنسوخ ، وخصوص ، وعموم ، وقصص.

قلت : وهذه الأقوال مردودة لما يأتي :

أولا : أن التوسعة كما هو مفهوم من الأحاديث والروايات الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف هي خاصة بالألفاظ وليس بالمعاني ، وذلك بأن تقرأ الكلمة على وجهين أو ثلاثة ، ولا

---

١ – مناهل العرفان للزرقاني ١/١٨٢

٢ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ١٧٣



يمكن أن تكون التوسعة في تحريم حلال ولا في تحليل حرام، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة.

ثانيا : إنه لو كان اختلاف الصحابة فيما دلت عليه التلاوة من الحل ، أو الحرمة ، أو الناسخ والمنسوخ ، أو المحكم والمتشابه مثلا ، لكان محالا أن يصوب قراءة الجميع ، لأنه يستحيل أن يكون الشيء حلالا وحراما ، أو ناسخا ومنسوخا ، أو محكما ومتشابها ، في وقت واحد.

يقول السيوطي:

قال المرسي[1] :هذه الوجوه أكثرها متداخلة ، ولا أدري مستندها ، ولا عمن نقلت ، ولا أدري لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر ، مع أن كلها موجودة في القرآن ، فلا أدري معنى التخصيص ، وفيها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة ، وأكثرها يعارضه حديث عمر مع هشام بن حكيم الذي في الصحيح ، فإنهما لم يختلفا في تفسيره ، ولا أحكامه ، إنما اختلفا في قراءة حروفه[2].

١ - هو محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي، الإمام العلامة المفسر المحدث النحوي ذو الفنون من الأئمة الفضلاء في جميع فنون العلم وله تصانيف عدة ونظم ونثر، ت ٦٥٥هـ (ياقوت معجم الأدباء ١٨/ ٢٠٩

٢ - الإتقان ١/ ١٣٩



القول السادس

ذهب بعضهم إلى القول بأن المراد بالأحرف السبعة : القراءات السبعة المنقولة عن الأئمة السبعة المعروفين عند القراء.

قلت : وهذا الرأي باطل لوجهين :

الأول : بداية أقول : أضيفت هذه القراءات إلى هؤلاء الأعلام لا لأنها من اختراعهم وإنشائهم ، وإنما لكونهم الذين اشتهروا بنقلها وضبطها ، ولكثرة تلاميذهم ، وفي هذا يقول ابن الجزري: إن معنى إضافة كل حرف مما أنزل الله تعالى إلى من أضيف من الصحابة كأبي ، وعبدالله ، وزيد ، وغيرهم من قبل أنه كان أضبط له ، وأكثر قراءة وإقراءا به، وملازمة له ، وميلا إليه ، لا غير ذلك ، وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة بالأمصار : المراد بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة وآثره على غيره ، وداوم عليه ، ولزمه حتى اشتهر وعرف به ، وقصد فيه ، وأخذ عنه ، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء ، وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم ، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد[1]

الثاني : لأن القراءات المتواترة والتي تلقتها الأمة بالقبول أكثر من سبعة . يقول الدكتور النبهان : ومن الثابت لدى علماء القراءات أن القراءات ليست هي الأحرف السبعة التي نزل بها

---

١ النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/ ٥٢



القرآن ، وكلمة القراءات السبع هي التي أوجدت ذلك اللبس في المصطلحات، والقراءات ليست منحصرة بسبع قراءات، فهناك أكثر من ذلك[1]

وقال أبو شامة[2] : "ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل"

وقال ابن عمار[3] : لقد فعل مسبع هذا السبع ما لا ينبغي له، وأشكل الأمر على العامة، بإيهامه كل من قل نظره أن هذه

---

١ – المدخل إلى علوم القرآن الكريم لمحمد فاروق النبهان ص ١٨٦ دار عالم القرآن – حلب الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٢ – أبو شامة هو الإمام الحافظ العلامة المجتهد ذو الفنون شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي ثم الدمشقي الشافعي المقرئ النحوي درس القراءات وهو حدث علي الشيخ علم الدين السخاوي وبرع فيها وعمل شرحا نفيسا للشاطبية وكان مع براعته في العلوم متواضعا تاركا للتكلف ثقة في النقل كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة توفي في تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وست مائة. تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٤٦١ دار الكتب العلمية بيروت

٣ – هو أحمد بن عمار بن أبى العباس المهدوي المغربي– أبو العباس– نحوى لغوى مقرئ مفسر، أصله من الهدية من بلاد إفريقية، ذكره الذهبي ضمن علماء الطبقة العاشرة من حفاظ القرآن. وقال : كان رأسا في القراءات، والعربية. كما ذكره ابن الجزري ضمن علماء القراءات. من تصانيفه: «الهداية في القراءات السبع» – توفى سنة ٤٤٠ هـ مترجم له في: معرفة القراء الكبار للذهبي ص : ٢٢٢ دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ– ١٩٩٧م ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ٥٠٨/٢ دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م. ومعجم حفاظ
==



القراءات هي المذكورة في الخبر، وليته نقص عن السبعة، أو زاد ليزيل الشبهة[1].

وقال مكي بن أبي طالب : هذه القراءات التي يقرأ بها اليوم، وصحت رواياتها عن الأئمة، هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

ثم قال : وأما من ظن أن قراءة القراء كنافع وعاصم، هي الأحرف السبعة التي في الحديث، فقد غلط غلطا عظيما، قال : ويلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة، مما ثبت عن الأئمة وغيرهم، ووافق خط المصحف، أن لا يكون قرآنا، وهذا غلط عظيم[2]. وابن مجاهد[3] الذي جمع القراءات السبع لم يقتصر على

==

القرآن عبر التاريخ لمحمد سالم محيسن ٢/٦٤ .دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

١ – الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ١/ ٢٧٤. ولم أقف على عبارة الشيخ ابن عمار في كتابه شرح الهداية.

٢ – الإبانة عن معاني القراءات لأبي محمد مكي بن أبي طالب ص ٣٢ دار نهضة مصر للطبع والنشر . وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٩/ ٣١– دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري ٧/ ٣٠٥ إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م

٣ – هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد قرأ على قنبل وأبي الزعراء وجماعة وكان ثقة حجة بصيرا بالقراءات وعللها ورجالها عديم النظير توفي في ==



السبع لاعتقاده أنها هي المرادة بقوله -صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف, وإنما كان ذلك منه على سبيل الصدفة، أو كان كما يقول شهاب الدين القسطلاني في مقدمة إبراز المعاني من حرز الأماني" لأبي شامة : "جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار، ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءاتهم[1].

وعلى أي حال ، فقد قال ابن الجزري في الرد على هذه الشبهة :

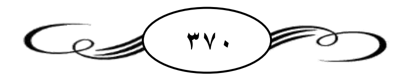
لا يجوز أن يكون المراد هؤلاء السبعة القراء المشهورين , وإن كان يظنه بعض العوام ؛ لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا[2].

==

شعبان عن ثمانين سنة. توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. العبر في خبر من غبر للذهبي ٢/ ٢٠٦. مطبعة حكومة الكويت/ سنة ١٤٠٥

١ – إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة ص ٧٨٢ وما بعدها بتصرف دار الكتب العلمية

٢ – النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/ ٢٤ ، والحجة للقراء السبعة ص ٦ للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م



قال الشيخ الزرقاني رحمه الله- مضعفا هذا الرأي: وهذا الرأي ضعيف لأن الأحرف التي نزل بها القرآن أعم من تلك القراءات المنسوبة إلى الأئمة السبعة القراء عموما مطلقا ، وأن هذه القراءات أخص من تلك الأحرف السبعة النازلة خصوصا مطلقا. ذلك لأن الوجوه التي أنزل الله عليها كتابه تنتظم كل وجه قرأ به النبي - صلى الله عليه وسلم - وأقرأه أصحابه ، وذلك ينتظم القراءات السبع المنسوبة إلى هؤلاء الأئمة السبعة القراء كما ينتظم ما فوقها إلى العشرة وما بعد العشرة ، وما كان قرآنا ثم نسخ ولم يصل إلى هؤلاء القراء جميعا ، ولهذا نصوا في المذهب المختار على أنه يشمل كل وجوه القراءات صحيحها وشاذها ومنكرها كما سبق[1].

قلت : لعله قد تبين من الردود السابقة ، وأقوال أئمة هذا الفن ضعف هذا القول ، وأن القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة على ما بينهما من نسبة تداخل والله أعلم.

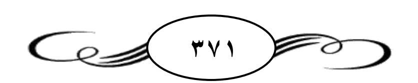
<u>القول السابع</u>

ذهب ابن قتيبة ، وابن الجزري ، والقاضي الباقلاني ، والرازي[2] ، والقاضي ابن الطيب ، وقد قال به كثير من المحدثين

---

١ - مناهل العرفان للزرقاني ١/ ١٩١

٢ - هو الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو الفضل عبد الرحمن ابن المحدث أحمد بن الحسن بن بندار العجلي، الرازي، المكي المولد، المقرئ. تلا على أبي عبد الله المجاهدي؛ تلميذ ابن مجاهد كان ثقة، جوالا، إماما في القراءات، أوحد في طريقه، ==



كالزرقاني الذي تابعه كثيرون : إن المراد بالأحرف السبعة : وجوه التغاير السبعة التي يقع فيها الاختلاف[1]، وهي:.

الأول: اختلاف الأسماء ، من إفراد : وتثنية ، وجمع، وتذكير، وتأنيث. مثاله : قوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ)[2] لأمانتهم بالإفراد، (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ) لأماناتهم : بالجمع. ومؤدى الوجهين واحد، لأن في الإفراد قصدا للجنس وفي الجنس معنى الكثرة, ولأن في الجمع استغراقا للأفراد, وفي الاستغراق معنى الجنسية : فرعاية (الأمانة) كرعاية (الأمانات) تشمل الكل والجزئيات. ولأمر ما جاءت لفظة "العهد" في الآية نفسها مفردة على كلتا القراءتين، وبكلا الحرفين, فما قرئ: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ وَعَهُودِهِمْ رَاعُونَ) , ولا قرئ (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهُودِهِمْ رَاعُونَ) .

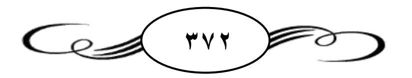
الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماض، ومضارع، وأمر مثاله قوله تعالى:

==

كان الشيوخ يعظمونه ، ثقة، ورعا ، متدينا، عارفا بالقراءات، عالما بالأدب والنحو ، توفي سنة أربع وخمسين وأربع مائة .سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٣٥

١ – المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره لدكتور محمد علي الحسن ص ١٠٨

٢ سورة المؤمنون آية : ٨. قرأ ابن كثير قوله : (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ وَعَهُودِهِمْ رَاعُونَ) بغير ألف على التوحيد، وقرأهما الباقون بالألف على الجمع. النشر في القراءات العشر لابن الجزري بتصرف ٣٢٨/٢.



(رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا)[1] «ربنا بعّد بين أسفارنا».

الثالث: اختلاف في وجوه الإعراب. مثاله: (لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا) ، قرئ برفع الراء .

وقرئ بتخفيفها وسكونها[2]

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة، نحو «أوصى» «ووصى» في قوله تعالى : (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ) بنقص حرف الهمزة[3].: (وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ)[4] وقرئ :(تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا) بزيادة لفظ : (مِنْ)

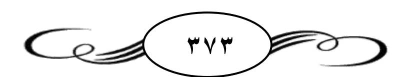
---

١ – سورة سبأ ، آية : ١٩. قرأ يعقوب برفع الباء من (ربنا) وفتح العين والدال وألف قبل العين من باعد، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بنصب الباء وكسر العين مشددة من غير ألف مع إسكان الدال، وقرأ الباقون كذلك إلا أنهم بالألف وتخفيف العين. النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٣٥٠

٢ – قرأ ابن كثير والبصريان «لا تضارّ والدة» برفع الراء وقرأ أبو جعفر بتخفيفها وسكونها، الكنز في القراءات العشر لأبي محمد الواسطي٢ / ٤٢٥ .مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

٣ – قرأ المدنيان، وابن عامر وأوصى بهمزة مفتوحة صورتها ألفا بين الواوين مع تخفيف الصاد، وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام، وقرأ الباقون بتشديد الصاد من غير همزة بين الواوين، وكذلك هو في مصاحفهم. النشر لابن الجزري ٢/ ٢٢٣.

٤ – سورة التوبة آية : ١٠٠. قرأ ابن كثير المكي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ بزيادة (من) وهي ثابتة في المصحف المكي دون غيره من المصاحف. مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص لمحمد عباس الباز ص : ٤٣، دار الكلمة – القاهرة الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م



الخـامس: الاختلاف في التقديم والتأخير، مثاله (فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ)[1] بمعنى قاتل ومقتول، أو «فيقتلون ويقتلون» بمعنى مقتول وقاتل[2]، وكلاهما موعود بالحسنى وبالجنة.

السادس: الاختلاف بالإبدال مثل قوله تعالى: (كَيْفَ نُنْشِزُها)[3] قرئ بالراء وبالزاي.

السابع: اختلاف اللهجات كالفتح والإمالة والترقيق التفخيم وغير ذلك[4].

٥ – القول الراجح

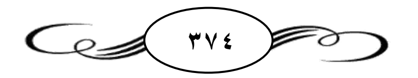
قلت : بالتأمل في الأحاديث الواردة في شأن نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف ، وما واكبها من ملابسات نشأ عنها خلاف بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم بسبب القراءات القرآنية حيث ألفوا من بداية الأمر قراءة القرآن على وجه واحد، ثم

١ – سورة التوبة آية : ١١١

٢ - بها قرأ حمزة والكسائي والباقون بالعكس التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص : ٣٢١.

٣ – قوله تعالى: (كَيْفَ نُنْشِزُها) البقرة : ٢٥٩. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالراء والباقون بالزاي. لمكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر لسراج الدين النشَّار ص : ٦٠. دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

٤ – النشر في القراءات العشر الابن الجزري١/ ٢٧ ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٦٦/١، ومناهل العرفان للزرقاني ١/ ١٥٥. والمعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة لأحمد عمر أبو شوفة دار الكتب الوطنية – ليبيا ٢٠٠٣ ، المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور محمد أبي شُهبة ص ١٩٠ مكتبه السنة – القاهرة الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م



سمع بعضهم بعضا يقرأ بقراءة على خلاف ما علم من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وترتب على هذا أن لجأوا إلى المرجع الأول ، أعني – رسول الله – صلى الله عليه وسلم فأزال ما بينهم من نزاع ، ثم بمراعاة الفوائد المستفادة من أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف ، وبالنظر في الأقوال السابقة ، نستطيع أن نقول : إن القول الراجح في بيان المراد بالسبعة أحرف في أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو القول الأخير للأسباب الآتية :

أحدها: أنه يتفق مع أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف.

ثانيها: أنه لا يتعارض مع الفوائد المستفادة منها ، وذلك بخلاف الأقوال الأخرى كما سبق.

ثالثها: يقول الشيخ الزرقاني :

إن هذا المذهب يعتمد على الاستقراء التام لاختلاف القراءات وما ترجع إليه من الوجوه السبعة بخلاف غيره فإن استقراءه ناقص ، أو في حكم الناقص . فكلمة أف التي أوصلها الرماني[1] إلى سبع وثلاثين لغة يمكن رد لغاتها جميعا إلى هذه الوجوه السبعة ولا تخرج عنها. وكذلك الاختلاف في اللهجات وهو اختلاف

---

١ – هو على بن عيسى بن على بن عبد الله أبو الحسن الرمانى ، كان متقنا في علوم كثيرة من القرآن والفقه والنحو والكلام على مذهب المعتزلة والتفسير واللغة ، مات سنة أربع وثمانين وثلاثمائة. مترجم في بغية الوعاة (٢/ ١٨٠، ١٨١). والأعلام للزركلي (٤/ ٣١٧).



شكلي يرد إليها ولا يخرج عنها. بخلاف الآراء الأخرى فإنه يتعذر أو يتعسر الرجوع بالقراءات كلها إليها. وليس من صواب الرأي أن يحصر النبي – صلى الله عليه وسلم – الأحرف التي نزل عليها القرآن في سبعة ، ثم نترك نحن طرقا في القراءات المروية عنه دون أن نردها إلى السبعة ، لأن ذلك يلزمه أحد خطرين: فإما أن تكون تلك الطرق المقروء بها غير نازلة ، وإما أن يكون هنا حرف نازل وراء السبعة الأحرف التي نزل عليها القرآن ، ويكون الحصر في كلام الرسول – صلى الله عليه وسلم – غير صحيح. وكلا هذين خطأ عظيم وإثم كبير[1].

رابعها: أن هذا القول لا يترتب عليه محذور من المحذورات التي يمكن أن تنشأ عن الأقوال الأخرى على نحو ما قد تبين لك عند الحديث عن هذه الأقوال.

خامسها : أن هذا القول يترتب عليه بقاء الأحرف السبعة إلى يومنا هذا.ذلك أنه عند تدبر أوجه القراءات المتواترة التي نقلت إلينا نجد أن اللفظ الواحد قد يقرأ بأوجه متعددة، والناس إلى يومنا هذا يتناكرون عند سماع هذه الوجوه إذا لم يكن لهم سابق علم بها ، كالذي حدث للصحابة الكرام – رضي الله عنهم أجمعين – فما المانع إذن من القول بأن أوجه التغاير في الكلام هو المقصود من الأحرف السبعة في الأحاديث المذكورة ؟ وقد حاول الحافظ

١ – مناهل العرفان ١٣٧/١



ابن حجر - رحمه الله - جمع أوجه التغاير في سورة الفرقان[1] بما يكشف عن إمكانية حدوث خلاف بين المستمعين كالذي وقع بين الصحابة قبل أن يعلموا بنزول القرآن على سبعة أحرف

سادسا : يفهم من تعقيب النبي – صلى الله عليه وسلم – على قراءة المختلفين من الصحابة – رضي الله عنهم – بقوله : هكذا أنزلت . وبقوله : إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف . أقول : يفهم منه أن هذا التغيير الذي وقع بينهم في بعض الكلمات هو من الأحرف السبعة، وهو ما يتفق مع هذا القول. وقد ذكر ابن الجزري - رحمه الله - أوجه التغاير في سورة الفرقان ، والتي يتصور أنها كانت سبب الخلاف بين سيدنا عمر وهشام – رضي الله عنهما – في كتابه النشر ، فارجع إليها إن شئت[2]

٦ - الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف

ذكر العلماء لنزول القرآن الكريم على أحرف سبعة حكما عديدة ، منها :

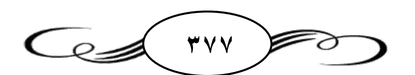
١ - التخفيف عن الأمة ، والتيسير عليها [3]؛ حيث كانت الأمة العربية وقت نزول القرآن أمة ذات قبائل متعددة ، وكان

---

١ - فتح الباري لابن حجر ٩/ ٣٣

٢ - النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/ ٣٣٣

٣ - من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ٦١ مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

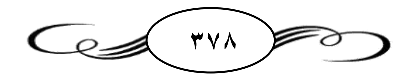


بينها اختلاف في اللهجات ، وفنون البلاغة ، والأصوات ، وطرق الأداء .....، وفيهم الشاب والشيخ الكبير ، والبدوي والحضري ، فلو كلفوا جميعا بقراءة القرآن على حرف واحد لشق ذلك عليهم ، والشريعة الإسلامية قائمة على رفع الحرج ، والتخفيف عن العباد، ومن أجل تحقيق ذلك نزل القرآن على سبعة أحرف يقول المحقق ابن الجزري : أما سبب وروده على سبعة أحرف فالتخفيف على هذه الأمة ، وإرادة اليسر بها ، والتهوين عليها وتوسعة ورحمة[1]". ولك أن ترجع إلى أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف تجد هذه الحكمة منها ظاهرة اقرأ مثلا حديث أبي بن كعب أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان عند أضاة بني غفار. قال: فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف. فقال: "أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك". ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين فقال: "أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال: "أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك" ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف. فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا[2])

---

١ – النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/ ٢٢

٢ – سبق تخريجه



٢ – أن نـزول القـرآن الكـريم علـى سـبعة أحـرف ، فيـه مـا فيـه مـن بيـان منزلـة رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – ورحمتـه بأمتـه حيـث سـأل ربـه التخفيـف بـإنزال القـرآن علـى هـذا النحـو ، فاسـتجاب لـه ، ويؤكـد هـذا أحاديـث نـزول القـرآن علـى سـبعة أحـرف ، ومنها الحديث السابق.

٣ – قلـت : وفـي تعـدد الأحـرف بيـان وجـه مـن وجـوه إعجـاز القـرآن الكـريم للملكـة اللغويـة عنـد العـرب، حيـث إنـه الكتـاب الوحيـد الـذي يقـرأ بقـراءات متعـددة، وكـل قـراءة تصـدق أختهـا ، وتعاضـدها ، وتشـهد لهـا ، وكـل ذلـك علـى أعلـى درجـات الـذوق اللغـوي ، ومعنـى هذا أن القرآن معجز بكل أحرفه مجتمعة ومنفردة.

٤ – ومنهـا الدلالـة علـى حكمـين متغـايرين ، ولكـن فـي حـالين مختلفين مثلا قوله تعالى في سورة المائدة : (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)[١] قرئ بنصب لفظ (أرجلكم) وبجرها ، فالنصب يفيد وجوب غسلها ، لأنها حينئذ تكون معطوفة على قوله : (وجوهكم) المنصوب ، وهو مغسول. والجر يفيد وجوب مسحها ، لأنها حينئذ تكون معطوفة على قوله : (رؤوسكم) المجرور ، وهو ممسوح ، وقد بين الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن

---

١ – سورة المائدة ، آية : ٦ قرأ بالنصب يعقوب وحفص وابن عامر ونافع والكسائي، والباقون بالخفض. شرح طيبة النشر في القراءات لابن الجزري، ص : ٢١٩. دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م



الغسل يجب على من لم يلبس الخف، وأن المسح يكون لمن لبس الخف على طهارة [1].

قلت : وهذا وجه بلاغي عظيم ، حيث جمع بين حكمين متغايرين في آية واحدة ، وهو في نفس الوقت يعتبر هذا من أعظم أوجه التيسير ، ولك أن تتخيل لو أن الله سبحانه أتى لكل حكم بآية مستقلة ، وكذلك لكل معنى ، كم سيكون حجم القرآن ، وفي هذا من المشقة ما فيه ، وعلى هـذا يكـون تعـدد الأحـرف وتنوعهـا مقـام تعـدد الآيـات.

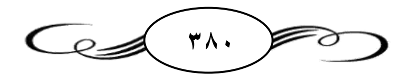
٥ – الجمع بين معنيين متكاملين في آية واحدة وبقراءتين؛ مثلا قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] ، والنشز (بالزاي) : يعني رفع العظام بعضها فوق بعض ، والمراد جمعها وإرجاعها إلى ما كانت عليه ، ويكون ذلك تمهيدًا لبعث الروح فيها ، وقرئت: ننشرُها (بالراء [3] ، والنشر؛ معناه : البعث والإحياء ، فعند جمع هاتين القراءتين يكون تفسير الآية: وانظر إلى حمارك الذي مات قبل مائة

---

١ – مناهل العرفان للزرقاني ١/ ١٢٦

٢ – سورة البقرة آية : ٢٥٩

٣ – قوله : (ننشزها) فقرأ ابن عامر، والكوفيون بالزاي المنقوطة. وقرأ الباقون بالراء المهملة. النشر لابن الجزري ٢/ ٢٣١



سنة، وتفسخت عظامه، وتناثرت هنا وهناك، كيف نجمعها ونعيدها إلى مواضعها ، وانظر كيف نحييها.[1]

٦ – قلت : وفي نزول القرآن على سبعة أحرف بيان لفضل هذه الأمة على غيرها من الأمم ؛ حيث لم ينزل كتاب سماوي على أمة إلا على وجه واحد، بخلاف القرآن فقد نزل القرآن على سبعة أوجه.

٧ – وفي نزول القرآن على سبعة أحرف دليل قاطع على أنه تنزيل من حكيم حميد ؛ حيث لا تناقض بين أخباره ، ولا اختلاف بين أحكامه.يقول الشيخ حوا: في الأحرف السبعة دلالة قاطعة على مصدر القرآن وصدقه، فمع كثرة أوجه الاختلاف وتنوعها ليس فيه تضاد ولا تناقض، بل كله يصدق بعضه بعضا[2].

٨ – قلت : في تعدد الأحرف التي نزل عليها القرآن إثراء لمعاني الذكر الحكيم ، وكذلك الأحكام الشرعية ،يقول الشيخ حوا: إعجاز القرآن في معانيه وأحكامه، فتنوع القراءات تبعه تنوع في المعاني، وزيادة في الأحكام[3].

---

١ –مناهل العرفان للزرقاني ١/ ١٣١

٢ – المدخل إلى علم القراءات للشيخ محمد بن محمود حوا ص ٣٠ بدون بيانات.

٣ – المرجع السابق.



المطلب الثاني ويتضمن:

- علاقة الأحرف السبعة بالقراءات.

- علاقة الأحرف السبعة بمصحف أبي بكر ومصاحف عثمان رضي الله عنهما

– شبهات حول الأحرف السبعة .

أولا : علاقة الأحرف السبعة بالقراءات

بداية يجب التنبيه على النقاط الآتية:-

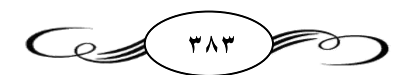
الأولى: نؤكد على ما قد سبق من أن الأحرف السبعة ليس المراد بها القراءات السبع وهذا إجماع من الأمة، يقول الدكتور صبحي الصالح : القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف أو تثقيل أو غيرهما[1] ، ولأن القراءات السبع وتحديدها جاء متأخرا عن نزول القرآن والإذن بالأحرف السبعة.

الثانية: من المعلوم أن القراءات المتواترة عشرة ،وليست سبعة ، وعليه ، فليس كل حرف من هذه الأحرف السبعة قراءة، وإلا لكان عدد القراءات سبعة فقط، وهو ما لم يقل به أحد.

الثالثة: من أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف يتبين لنا أن ذلك النزول على هذا النحو كان بداية لظهور القراءات. كما يتضح ذلك على سبيل المثال من إقرار النبي - صلى الله عليه وسلم- لكل من عمر وهشام بن حكيم بن حزام - رضي الله عنهما - على قراءته،. فتبين أن العلاقة بين الأحرف السبع والقراءات علاقة السبب بمسببه.
والخلاصة : أن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات. وذلك ضرب من

---

١ - مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح دار العلم للملايين الطبعة الرابعة والعشرون ٢٠٠٠. والمعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة ص ١٠٥ أحمد عمر أبو شوفة دار الكتب الوطنية – ليبيا : ٢٠٠٣



ضروب البلاغة يبتدئ من جمال هذا الإيجاز وينتهي إلى كمال الإعجاز. وإذن ، فالأحرف هي الوحي المنزل ، والقراءات هي عبارة عن اختلاف ألفاظ الوحي على نحو ما مر في القول الراجح . والله أعلم.

ثانيا – علاقة الأحرف السبعة بمصحف أبي بكر ومصاحف عثمان

اختلف العلماء في هذه المسألة على أقوال ثلاثة :

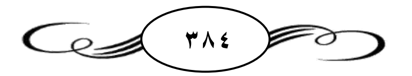
الأول : يرى بعض الفقهاء والقراء والمتكلمين أن صحف أبي بكر ، ومصاحف عثمان – رضي الله عنهما – مشتملة على الأحرف السبعة ، واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

أولا : أنه لا يجوز على الأمة أن تترك شيئا من الأحرف السبعة بعد أن تركه لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم.

ثانيا : أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر – رضي الله عنه – والتي نقلت عما كتب أمام رسول الله – صلى الله عليه وسلم.

ثالثا : اتفق الصحابة – رضي الله عنهم – على ترك ما سوى ذلك.

الثاني : ذهب جماهير العلماء من السلف ، والخلف ، وأئمة المسلمين إلى أنها مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط ، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي – صلى الله عليه وسلم – على جبريل متضمنة لها لم تترك حرفا منها. بمعنى : أن كل مصحف يشتمل على ما يحتمله رسمه من هذه



الأحـرف ، وأن مجمـوع هـذه المصـاحف يشـتمل علـى مجمـوع الأحـرف السبعة.

الثالـث : ذهـب الإمـام الطبـري – رحمـه الله – وآخـرون إلـى أن المصـاحف العثمانيـة تشـتمل علـى حـرف واحـد منهـا فقـط ، وهـو حـرف قـريش الـذي جمـع عثمـان – رضـي الله عنـه – عليـه المصاحف[1].

قلـت : وهـذا الـرأي الأخيـر باطـل مـردود مـع عظـيم الاحتـرام لقائليـه، وقـد أحسـن الإمـام السـخاوي فـي الـرد علـى هـذا الـزعم فلنـدع الفرصـة لـه ليبـين ذلـك ، يقـول رحمـه : إن هـذا الـذي ادعـاه مـن أن عثمـان – رضـي الله عنـه– إنمـا كتـب حرفـا واحـدا مـن الأحـرف السـبعة التـي أنزلهـا الله عـز وجـل: لا يوافـق عليـه، ولا يسـلم لـه، ومـا كـان عثمـان– رضـي الله عنـه– يسـتجيز ذلـك، ولا يسـتحل مـا حـرم الله – عـز وجـل – مـن هجـر كتابـه، وإبطالـه وتركـه، وإنمـا قصـد سـد بـاب القالـة، وأن يـدعي مـدع شـيئا لـيس ممـا أنـزل الله ، فيجعلـه مـن كتـاب الله عـز وجـل، أو يـرى أن تغييـر لفـظ الكتـاب العزيـز بغيـره ممـا هـو بمعنـاه لا بـأس ، فلمـا كتـب هـذه المصـاحف، وأمـر بـالقراءة بمـا فيهـا لـم يمكـن أحـدا مـن أولئـك أن يفعـل مـا كـان يفعـل، والـذي فعـل ذلـك مخطـئ؛ لأن عمـر – رضـي الله عنـه – أنكـر علـى هشـام بـن

---

١ – الإتقـان فـي علـوم القرآن للسيوطي ١ /١٧٦والحجـة للقـراء السـبعة لأبـي علـي الفارسيّ ص : ٨، دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م، ومناهل العرفان في علوم القرآن للزُّرْقاني ١/١٦٨



حكيم لفظا لم يسمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعمر - رضي الله عنه - يعلم أن ذلك جائز في العربية، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "هكذا أنزلت ". فلو أن تغيير القرآن لا يجوز لما أنكر عمر- رضي الله عنه- ما أنكره. فأراد عثمان - رضي الله عنه - أن يجمع القرآن كله بجميع وجوهه السبعة التي أنزل عليها سدا لباب الدعوى، وردا لرأي من يرى تبديل حرف منه بغيره. ألا ترى أنه أحضر الصحف التي كتبها الصديق - رضي الله عنه - وكانت بالأحرف السبعة، واستظهر من ذلك بما كتب بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرقاع، والأكتاف واللخاف[1]، إرادة أن لا يبقى لقائل قول، ولا لمدع دعوى. وأما قوله : إنما كتب حرفا واحدا من الأحرف السبعة

فغير صحيح، فقد كتب في بعض المصاحف (وَأَوَصَّى)[2] ،

---

١ - الرّقاع والعُسُب واللِّخاف : الرقاع: جمع رقعة، وهي الخرفة المعروفة، واللخاف واحدتها: لَخْفة وهي حجارة بيض رقاق. والعسب واحدها: عسيب وهو سعف النخل وأهل الحجاز يسمونه الجريد أيضا. لمطلع على ألفاظ المقنع ص : ٨٢ . لمحمد بن أبي الفتح البعلي، مكتبة السوادي للتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م .وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ٤/١٥٦. مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

٢ - وَوَصَّى قرأ نافع وابن عامر وأوصى بسكون الواو الثانية وهمزة مفتوحة بين الواوين وتخفيف الصاد والباقون بواوين مفتوحتين ولا همزة بينهما وتشديد الصاد. المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر لسراج الدين النشَّار المصري ص : ٥٠، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م شرح طيبة النشر في ==



وفـي بعضها(وَوَصَّـى)[1] ، وكتـب فـي بعضـها (وَقَـالُوا اتَّخَـذَ اللَّهُ وَلَـدًا)[2]، وفـي بعضـها (قـالوا. . .) وكتـب (وَسَـارِعُوا إِلَـى مَغْفِـرَةٍ مِـنْ رَبِّكُـمْ)[3] فـي موضـع بغيـر واو، وفـي مصـحف (وَسَـارِعُوا) ....وهكـذا ، وقـد ذكـرت أن الأمـة لا ترضـى لأحـد مـن خلـق الله بتـرك كتـاب الله، ومـا ثبـت عـن رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم –، وأن أحـدا لا يقـدر أن ينتـزع مـن أيـديها مـا اشـتهر بينهـا، وتداولتـه النقلـة، واسـتمرت علـى تلاوتـه الألسـنة حتـى يصـير نسـيا منسـيا لا يعرفـه إلا الشـاذ مـنهم بعد أن كـان يعرفـه الكبيـر والصـغير، والـذكر والأنثـى. هـذا

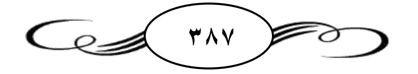
==

القراءات العشر لمحب الدين النُّوَيْري ٢/ ١٨٥، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

١ – قال أبو داود الأندلسي : قوله: ووصّى وقوله: وأوصى فكتبوها في بعض المصاحف بواوين بينهما ألف كما هو الحال في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام، وكتبوها في بعضها الآخر بواوين من غير ألف كما هو الحال في مصاحف أهل مكة وأهل العراق ينظر : مختصر التبيين لهجاء التنزيل لأبي داود الأندلسي ١/ ١٤٧ . مجمع الملك فهد – المدينة المنورة ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م

٢ – قرأ ابن عامر بحذف واو العطف من «وقالوا، وهو كذلك في المصحف الشامي والباقون كذلك بالإثبات، وهو كذلك في سائر المصاحف : شرح طيبة النشر في القراءات لابن الجزري ص : ١٨٢

٣ – قرأ ورش {سَارِعُواْ} بغير واو على الاستئناف، وكذا هي في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام بغير واو" وقرأ حفص بالواو، وكذلك هي في مصاحف أهل الكوفة وأهل البصرة . لقراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة لحليمة سال ص : ٢٧٧ . دار الواضح – الإمارات الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ – ٢٠١٤ م شرح طيبة النشر في القراءات لابن الجزري، ص : ٢٠٩



من المحال في مجرى العادة، والذي لا يشك فيه أن عثمان – رضي الله عنه – كتب جميع القرآن بجميع وجوهه، ولم يغادر منه شيئا، ولو ترك شيئا منه لم يوافق عليه[1].

قلت : وقد سبق ما في قوله هذا عند الكلام على أقوال العلماء حول المراد من الأحرف السبعة.

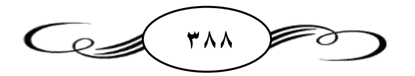
وأما القول الأول ، فإن كان أصحابه يقصدون أن كل مصحف يشتمل على كل الأحرف السبعة ، فهذا ما لا يثبته البرهان، ولا يؤيده الواقع ، إذ كيف يشتمل هذا المصحف على ما اختلف رسمه ونطقه ، من مثل قوله سبحانه : (وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ)[2] وقرئ :(تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا) بزيادة لفظ : (مِنْ) ، وهما قراءتان متواترتان ، وقد وافقت كلتاهما رسم المصحف ، بيد أن ذات الزيادة توافق رسم المصحف المكي لأن لفظ (مِنْ) ثابتة فيه. أما حذفها فإنه يوافق رسم غير المصحف المكي حيث لم تثبت فيه أي في غير المصحف المكي[3]. ، فإن كانوا يقصدون أن كل مصحف يشتمل على ما يحتمله رسمه من

---

١ جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي ص : ٣٢٦، وما بعدها ، دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م

٢ – سورة التوبة آية : ١٠٠. قرأ ابن كثير المكي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ بزيادة (من) وهي ثابتة في المصحف المكي دون غيره من المصاحف. مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص لمحمد عباس الباز ص : ٤٣، دار الكلمة – القاهرة الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

٣ – النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/ ٢٨٠



الأحــرف الســبعة ، و أن مجمــوع المصــاحف يشــتمل علــى مجمــوع الأحـرف السـبعة فمسـلم ، وهـو مـا يقـول بـه أصـحاب القـول الثـاني وهـو الحـق. فعـن عبيـدة السـلماني قـال: القـراءة التـي عرضـت علـى النبـي – صـلى الله عليـه وسـلم – فـي العـام الـذي قـبض فيـه هـي القراءة التي يقرأها الناس اليوم[1].

وعـن ابـن سـيرين قـال: كـان جبريـل يعـارض النبـي صـلى الله عليـه وسـلم كـل سـنة فـي شـهر رمضـان مـرة ، فلمـا كـان العـام الـذي قـبض فيـه عارضــه مــرتين[2] ، فيــرون أن تكــون قراءتنــا هــذه علــى العرضة الأخيرة.

وقـال البغـوي فـي شـرح السـنة: يقـال : إن زيـد بـن ثابـت شـهد العرضـة الأخيـرة التـي بـين فيهـا مـا نسـخ ، ومـا بقـي وكتبهـا لرسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – وقرأهـا عليـه ، وكـان يقـرئ النـاس بهـا حتـى مـات ، ولـذلك اعتمـده أبـو بكـر وعمـر فـي جمعـه وولاه عثمـان كتب المصاحف[3].

---

١ – أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم.
– في درس القرآن وعرضه. برقم ٣٠٩٢٢

٢ – أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم.
– في درس القرآن وعرضه. برقم ٣٠٩٢٠ والحاكم في مستدركه في أوائل كتاب التفسير عن ابن عباس برقم ٢٩٠٣. وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط البخاري بعضه، وبعضه على شرط مسلم، ولم يخرجاه» وأقره الذهبي. وأخرجه البزار في مسنده البحر الزخار في مسند الحسن عن سمرة برقم ٤٥٦٤

٣ – شرح السنة للبغوي في كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ٤/ ٥٢٦



الترجيح

الذي تميل إليه النفس في هذا الموضوع هو القول الثاني القائل بأن المصاحف التي كتبت على عهد عثمان – رشي الله عنه – مشتملة في مجموعها على مجموع الأحرف السبعة ، بمعنى : أن كل مصحف من هذه المصاحف قد اشتمل على ما يوافق رسمه من هذه الأحرف ، وأن مجموع المصاحف مشتمل على مجموع الأحرف السبعة.

وأما القول بأن أبا بكر – رشي الله عنه – كتب مصحفه على الأحرف السبعة، وأن عثمان – رشي الله عنه – قد جمع الناس على حرف واحد ، وترك الأحرف الستة الأخرى ، وأن القراءات التي يقرأ الناس بها اليوم ، هي على حرف واحد. هو قول ضعيف ، لا دليل عليه البتة، ولا يعدو إلا أن يكون اجتهادا يفتقد الدليل ، ويحتاج إلى البرهان .ويؤكد ذلك :

أولا : ما قاله ابن جرير فقد سبق الرد عليه

ثانيا : أن عثمان – رضي الله عنه – قد أثبت الخلاف بين المصاحف ، مما يدل على أنه لم يحاول جمع الناس على حرف واحد. لكنه منع من قراءة المنسوخ فقط.

ثالثا : أن الذي يدل عليه النظر أنه لا فرق بين ما جمعه أبو بكر – رضي الله عنه – في مصحف واحد مما كتب بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – متفرقا، وبين ما فرقه عثمان



– رضي الله عنه – ونسخه في المصاحف المتعددة في الأمصار. وإنما الاختلاف بينها في السبب والطريقة فحسب.

فزيد الذي تولى كتابة المصحف أيام أبي بكر– رضي الله عنه – ، هو الذي تولاه أيام عثمان– رضي الله عنه – ففي كلا الحالتين سيكتب في المصحف ما ثبت في هذه العرضة الأخيرة. وسيثبت نفس ترتيب السور. لكن لو حدث خلاف حول كتابة الكلمات على أي لهجة، فقد أمر عثمان – رضي الله عنه – أن يكون ذلك على لهجة قريش ،. وهذا ثابت بما روى البخاري عن أنس: «أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة. فقال لعثمان: "أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى". فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان. فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم". ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما

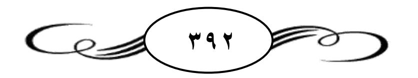
نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق[1]».

- قد يعترض معترض بأن الاختلاف قائم في القراءات المشهورة التي يقرأ بها الناس إلى اليوم.

- قلت : الجواب : أن عثمان – رضي الله عنه – لم يمنع اختلاف القراءة كما قد يتبادر على الذهن من ظاهر الحديث. بل كان عمله حذف القراءات المنسوخة، ذلك أن قراء الصحابة كانوا يقرئون الناس بما صح عندهم عن نبيهم – صلى الله عليه وسلم – وليس كلهم بلغه ما نسخ في العرضة الأخيرة. فلعل هذا هو الذي أفزع حذيفة – رضي الله عنه – . فلما وزع عثمان – رضي الله عنه – المصاحف ، وكان مع كل مصحف معلما يعلم الناس ما قد تعلمه من سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يعد هناك خلاف ، حتى لو التقى قارئ من البصرة ، وقارئ من الكوفة مثلا ، فقرأ كل منهما على اختلاف ما بينهما ، فإنهما يعلمان بأن ذلك عائد إلى وجه صحيح مروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من خلال بيان أن القرآن قد نزل على سبعة أحرف ، وبهذا يكون الاختلاف قد تحدد بهذه المصاحف ومن معها من القراء، وأن ما سواها فهو منسوخ لا يقرأ به. أما قول

---

[1] – أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن برقم ٤٧٠٢ والبيهقي في السنن الكبرى في جماع أبواب صفة الصلاة باب الدليل على أن ما جمعته مصاحف الصحابة رضي الله عنهم كله قرآن برقم ٢٣٧٤ والبغوي في شرح السنة كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن برقم ١٢٣٢.

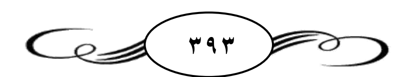


عثمان - رضي الله عنه - "فاكتبوه على لغة قريش"، فهو إشارة إلى الرسم لا إلى القراءة، تأمل قوله – رضي الله عنه- : فاكتبوه، ولم يقل : فاقرأوه ، إذن ، هو لا يمنع من القراءة. قال الإمام السيوطي: وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أنها مشتملة على ما يحتمل رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي – صلى الله عليه وسلم - على جبريل – عليه السلام - متضمنة لها لم تترك حرفا منها.

وقد وردت آثار صحيحة تؤيد مذهب جماهير العلماء من أن المصاحف التي بين أيدينا هي التي تحوي على العرضة الأخيرة. فقد أخرج ابن أبي شيبة عن عَبيدة، قال: «القراءة التي عرضت على النبي- صلى الله عليه وسلم - في العام الذي قبض فيه، هي القراءة التي يقرأها الناس اليوم». وهذا إسناد غاية في الصحة. وعبيدة ثقة مخضرم، أدرك جمع أبي بكر وجمع عثمان، وكان من أبرز تلاميذ ابن مسعود. وأخرج الحاكم عن سمرة - رضي الله عنه - قال: «عرض القرآن على رسول الله – صلى الله عليه وسلم - عرضات، فيقولون: إن قراءتنا هذه العرضة الأخيرة[1]». وسماع الحسن من سمرة صحيح وإن كان صحيفة.

---

١ - أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير برقم ٢٩٠٤ وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح على شرط البخاري بعضه، وبعضه على شرط مسلم، ولم يخرجاه» وأقره الذهبي



وبعد هذا يكون الفرق بين عمل أبي بكر وعمل عثمان كما يأتي:

– أن أبا بكر – رضي الله عنه – أراد حفظ القرآن مكتوبا، خشية أن يموت قراء الصحابة، فيذهب بذهابهم. أما عثمان بن عفان – رشي الله عنه – فكان الاختلاف الذي نشأ بين التابعين سببا في نسخه للمصاحف. أن أبا بكر كتب مصحفا واحدا بما يوافق رسم ما بقي من الأحرف السبعة. أما عثمان بن عفان – رشي الله عنه – فنسخ من هذا المصحف عدة مصاحف، ولم يحذف منه شيئا، لكنه أثبت بعض اختلاف الأحرف السبعة في المصاحف المختلفة.

– أن أبا بكر لم يلزم المسلمين باتباع المصحف الذي كتبه، ولم يكن هذا من مقاصده لما أمر بكتابة المصحف، لذا بقي الصحابة يقرئون بما سمعوه من الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وكان في ذلك المقروء ما هو منسوخ بالعرضة الأخيرة. أما عثمان – رضي الله عنه –، فألزم المسلمين باتباع المصحف الذي أرسله، ووافقه على ذلك الصحابة، لذا انحسرت القراءة بما نسخ من الأحرف السبعة، وبدأ بذلك معرفة الشاذ من القراءات، ولو صح سندها، وثبت قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم – بها. وبهذا يكون أكبر ضابط في تشذيذ القراءة التي صح سندها، ولم يقرأ بها الأئمة لكونها نسخت في العرضة الأخيرة



ثالثا – شبهات حول الأحرف السبعة

لقد اتخذ المستشرقون وأذنابهم من قضية الأحرف السبعة وسيلة يائسة للطعن في كتاب الله – عز وجل – وهي محاولات إن دلت على شيء إنما تدل على عظيم جهلهم بحق كلام العليم الخبير سبحانه ، أو على شديد مرض قد احترقت به قلوبهم وعقولهم بدليل افتراءاتهم الزائفة في هذا المقام على نحو ما سيتبين لنا في السطور الآتية:

الشبهة الأولى

يقول هؤلاء المفترون : إن أحاديث نزول القران على سبعة أحرف تثبت وقوع الاختلاف في القرآن ، بينما القرآن نفسه يجعل الاختلاف أمارة على انه ليس من عند الله ، إذ يقول في سورة النساء : (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)[1] ، وهذا يستلزم أحد أمور

١– إما أن يكون القرآن من عند غير الله

٢– وإما أن تكون الأحاديث الدالة على نزول القران على سبعة أحرف كذب وافتراء

---

١ – سورة النساء ، آية : ٨٢



٣- وإن صحت هذه الأحاديث فإنها تثبت وقوع الاختلاف والتناقض في القرآن[١].

والجواب

قلت : أولا : نقول : إن أحاديث نزول القران على سبعة أحرف صحيحة ، بل هي متواترة

ثانيا : إن هؤلاء القوم الذي أثاروا هذه الشبهات لم يفهموا طبيعة الخلاف بين الأحرف السبعة ، إما لضعف في الفهم ، أو لقلة بضاعتهم في العلم ، وإلا ، فإنه الحقد ، والحسد على كتاب الله ، وعلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - دفعهم إلى ذلك محاولة التشويش والتشكيك في كتاب الله عز وجل

أقول : هؤلاء لم يفهموا أن الاختلاف الواقع بين الأحرف السبعة ليس خلاف تعارض في المعاني ، أو تناقض في الأحكام ، والأخبار ، وإنما هو خلاف في طرق الأداء في دائرة محدودة بحيث لا يؤدي إلى تعارض في المعاني ، أو تناقض بين الأحكام والأخبار وغيرها ، وقد أشار العلامة ابن الجزري - رحمه الله - إلى هذا النوع من الخلاف فيقول :

قد تدبرنا الاختلاف بين القراءات فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال .

---

١ - مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسيهر ص :٦ وما بعدها بتصرف ومناهل العرفان ١٥٣/١ وما بعدها بتصرف.



١-اختلاف في اللفظ لا المعنى كما في لفظ : الصراط ، حيث تقرأ : الصراط بصاد صريحة ، أو السراط بسين صريحة ، أو الزراط بزاي خالصة ، أو بين الزاى والصاد أي كالظاء مثلا عند البعض[١] ، وهذا الخلاف يرجع إلى الاختلاف في اللغات لتيسير التلاوة.

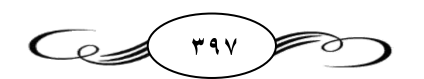
٢-أن تختلف القراءتان في اللفظ والمعنى مع صحة المعنيين كليهما كأن يجتمعان في شيء واحد كما في قوله تعالى: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[٢] ، قرئ مالك وملك[٣] لأن الله تعالى مالك يوم الدين وملكه وكما في قوله تعالى : (وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا

---

١ – قرأ الكسائي: «الصّراط» و «صراطا» مفردا كان أو مضافا بالسين فيهما في جميع القرآن. والباقون بالصاد. وأشمها زاي خلف عن حمزة. ينظر : المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر لعمر النشَّار ص : ٢٩. دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م والنشر ١/ ٢٧٢. وشرح طيبة النشر في القراءات لابن الجزري ، ص : ٤٩. دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م والوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع لعبد الفتاح القاضي ص : ٥٠ مكتبة السوادي للتوزيع الطبعة الرابعة ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

٢ – سور الفاتحة آية : ٤

٣ – قرأ عاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف بالألف مدا، وقرأ الباقون بغير ألف قصرا . النشر ١/ ٢٧١ والمكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر لعمر النشَّار ص : ٢٩. وشرح طيبة النشر في القراءات لابن الجزري ، ص : ٤٩. والوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع لعبد الفتاح القاضي ص : ٥٠ مكتبة السوادي للتوزيع الطبعة الرابعة ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م



لَحْمـــا .....)[1] ، وقـــرئ ننشـــرها[2] ، ولا تعـــارض ، لأن المـــراد بهـــا العظـام، وذلـك لأن الله تعـالى أنشـزها أي : رفـع بعضـها إلـى بعـض حتـى التأمـت وأنشـرها ، أي : أحياهـا ، والمعنيـان وان كانـا مختلفـين لكـن لا تنـاقض ، ولا تعـارض بينهمـا ، وذلـك لأن الله تعـالى إذا أراد أن يبعـث الخلائـق يـوم القيامـة رفـع العظـام بعضـها إلـى بعـض حتـى تلتـئم ، وتجتمـع بعـد ذلـك يحييهـا للجـزاء والمحاسـبة ، فبـدل أن يعبـر عـن كـل معنـي مـن هـذين المعنيـين بآيـة تخصـه ، جمـع الله تعـالى بـين المعنيـين فـي آيـة واحـدة ، وبقـراءتين وفـي هـذا مـن البلاغـة مـالا يخفي .

٣-اخـتلاف فـي اللفـظ والمعنـى ، مـع امتنـاع جـواز اجتماعهمـا فـي شـيء واحـد ، لكـن يتفقـان مـن وجـه آخـر ، لا يقتضـى التضـاد ، كمـا فـي قولـه سـبحانه وتعـالى : (حَتَّـى إِذَا اسْـتَيْأَسَ الرُّسُـلُ وَظَنُّـوا أَنَّهُـمْ قَـدْ كُـذِبُوا جَـاءَهُمْ نَصْـرُنَا ....)[3] حيـث قـرئ قولـه تعـالى : كـذبوا بتشـديد الـذال وتخفيفهـا[4] ، فأمـا وجـه التشـديد فـالمعني ويتـيقن

---

١ - سورة البقرة آية ٢٥٦

٢ - قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالراء والباقون بالزاي. ينظر : المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر لعمر النشَّار ص : ٦٠. والكنز في القراءات العشر لابن الوجيه الواسطيّ ٢/ ٤٢٩. مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م. غيث النفع في القراءات السبع لأبي الحسن النوري الصفاقسي ص : ١١٩. دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

٣ سورة يوسف آية : ١١٠

٤ - قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف وعاصم بالتخفيف، والباقون بالتشديد. ينظر: شرح طيبة النشر في القراءات لابن الجزري ص : ٢٥٦. وشرح طيبة النشر في ==



الرسل أن قومهم قد كذبوهم ، وأما وجه التخفيف ، فالمعني وتوهم المرسل اليهم(١) أن الرسل قد كذبوهم ، أي كذبوا عليهم فيما أخبروهم به ، فالظن في الأولى : يقين ، والظن في القراءة الثانية: شك ، والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم وإذن فليس في القران تناقض ، ولا اختلاف فيما يتعلق بالأحرف السبعة ، أو بغيرها ، وسقطت شبهة القوم جملة وتفصيلا ، لأنه كلام الله – عز وجل – الذي أنزله على رسوله – صلى الله علسيه وسلم[٢]

ثالثا : ويكفي أن تعلم هذه القراءات قد استمع إليها عدد من المشركين ، وان شئت فقل : قد سمعوا بوجودها في القران الكريم وما أنتج هذا لديهم هذا الفهم الخاطئ ، لأنهم كانوا أولي بلاغة ، وإدراك لروعة هذا التنوع في التعبير والنطق ، بل إن هذا أعطى القرآن ميزة وتفوقا عليهم في ميدان التعبير عن المعاني المتعددة بقراءات متعددة في آية واحدة ، بحيث إنك لا تجد ذلك في بيت شعر لأحدهم مثلا

==

القراءات العشر لمحب الدين النُّوَيْري ١/ ١٦٦ . دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٤٤١/٤. دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م

١ – النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٤٩/١

٢ – مناهل العرفان للزرقاني ١٥٤/١



رابعا : لقد كان الصحابة – رضي الله تعالى عنهم – على درجة عالية من البلاغة والفصاحة ، شهد لهم بذلك القاصي والداني ، فلو كان ما يردده هؤلاء صحيحاً لكان الصحابة الكرام من أول من انتبه له ، بمالهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والذكاء الحاد ، والفطرة السليمة التي تجعل الواحد منهم لا يواري ، أو يجامل ويداهن في مجال الحق ، وكيف يعتقد الصحابة في نص مضطرب متناقض ، ويتمسكون به تمسكا عظيما بحيث يقدمونه على أقدس ما قد ورثوه عن آبائهم وأجدادهم من : عقائد ، وعبادات ، وسلوكيات ، وأنت خبير بمدى ما كان عليه القوم من تعصب شديد لذلك ، وكيف يقبل هؤلاء الصحابة أن يفارقوا أهلهم، وعشيرتهم ، ووطنهم ، من أجل نص مضطرب ،متناقض بحسب وهم هؤلاء الملحدين وكيف يقاتلون قومهم قتالا في مرات عديدة ، قتل فيها من قتل ، وجرح فيها من جرح من أجل نص هذا شأنه، اللهم إلا أن يكون كل هؤلاء : إما إنه لا عقل لديهم ، ولا فهم ، وهذا ما ينكره الواقع ، لأنه لا يعقل أن يكون كل هؤلاء الصحابة على هذا النحو ، وكذا من بعدهم إلى يومنا هذا ، وإما لأنهم ليسوا على علم باللغة العربية ، لذلك لم يكتشفوا هذا التناقض المزعوم ، والاضطراب المتوهم الذي توصل إليه هؤلاء العباقرة.

أقول : إن الحقيقة والواقع ينفيان ذلك تماما ، فالقوم عرب خلص حتى بشهادة هؤلاء الموهومين ، والحق أن هؤلاء الموهومين هم الذين ليسوا من أهل العربية ، حتى يدركوا أسرار اللغة كما أدركها هؤلاء الصحابة ، وأيضا لم يتعلموها تعلما

يكسبهم ملكه التذوق لجمال التعبير اللغوي بحيث يؤهلهم للتصويب والتخطئة ، ورغم ذلك تجد القوم يتبجحون على العرب الخلص ، فتراهم يجعلون من أنفسهم حكاما على لغة ليسوا من أهلها ، ثم يعيبون عليهم في ذلك ، وإن تعجب فعجب تصرفهم هذا.

والخلاصة : أن الخلاف الواقع بين الأحرف السبعة ليس اختلاف تناقض وتعارض ، وإنما هو اختلاف تنوع وتغاير ، يكسب المعنى روعة وجمالا ، دقة وبيانا ، ولا وجود للتعارض والتناقض فيه ، فهذا لو كان في كلام عقلاء البشر لعد ذلك قبحا ، فكيف بكلام العليم الخبير؟ وعلى أية حال ، فهذه عادة جولد تسيهر وأمثاله من المستشرقين ، يهرفون بما لا يعرفون ، ونحن يكفينا أن نعلم أنه لم ينقل عن أحد من أعداء الإسلام المعاصرين لنزول الوحي ، وهم العرب الخلص ، كالمشركين وغيرهم أدنى اعتراض على القرآن ، ولو حدث لنقل واشتهر، ولما لم يصلنا شيء من ذلك علمنا عجزهم عن إيجاد تناقض ، أو طعن في القران المحكم.

<u>الشبهة الثانية</u>

ومن الشبهات أيضا في هذا المقام ما زعمه جولد تسيهر في كتابه مذاهب الفكر الإسلامي حيث يقول : يرجع بعض مظاهر الاختلاف في قراءات القرآن ، في قراءة الكلمة الواحدة حسب رسمها في المصحف العثماني ، فقد كان الرسم مجردا من الإعجام



أي مـــن التنقـــيط والتشـــكيل ، أي : التشـــكيل بالفتحـــة والضـــمة والكسرة [١].

والجواب

قلـت : إن هـذا المستشـرق جولـد تسـيهر يقصـد أن يقـول : إن القـراءات القرآنيـة ناشـئة عـن طريقـة كتابـة المصـاحف علـى عهـد عثمـان رضـي الله عنـه تبعـا لمـا كتـب عليـه القـرآن فيمـا سـبق علـى عهـد أبـي بكـر – رضـي الله عنـه – ومـن قبـل علـى عهـد رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – حيـث كانـت الكتابـة خاليـة مـن الـنقط ومـن الشـكل ، وبالتـالي اختلـف النطـق تبعـا لاحتمـالات الرسـم فمـثلا البـاء إذا كتبـت خاليـة مـن الـنقط يمكـن أن تنطـق بـاءا ، أو تـاءا ، أو ثـاءا ، والجـيم يمكـن أن تنطـق إضـافة إلـى الجـيم حـاءا ، أو خـاءا ، وهكـذا فـي الـدال ، والـذال ، والـراء والـزاي ... الـخ ، وكـذلك فيمـا يتعلـق بالشـكل كـأن يقـرا الحـرف بالفتحـة مـع الشـدة مـثلا ، أو بـدونها وهكـذا ، وقصـده أعنـى تسـيهر مـن هـذه المقولـة أن يقـول : إن تعيـين وتحديـد القـراءة المقصـودة إنمـا يرجـع إلـى اختيـار القـارئ لمـا يـراه مـن القـراءات إنمـا هـي مـن عمـل القـراء ، وليسـت منزلـة بـالوحي إلى سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

وهنـا نقـول لهـم : القـول بـأن هـذا الاخـتلاف راجـع إلـى خاصـية الرسـم ، قـول زائـف ، يكذبـه الواقـع ، وتجافيـه الحقيقـة ، ذلـك لأن التـدوين – يـا سـادة لـو كنـتم تعلمـون – مـا كـان إلا بعـد الحفـظ ،

---

١ – مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسيهر ص ٦ وما بعدها بتصرف.

أعني أن هذه القراءات كانت موجودة قبل التدوين ، (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ)[1].

ثم كيف يسمح لقارئ أن يقرأ كيف يشاء مع أن ذلك لم يكن مأذونا فيه لرسول الله – صلى الله عليه وسلم. اقرأ مثلا قول الله تعالى : (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)[2]

وأيضا فإنه – صلى الله عليه وسلم – يؤكد في أحاديث الأحرف السبعة على أنها منزلة من الله – عز وجل – حيث قال : إن هذا القرآن قد نزل على سبعة أحرف وقال للمختلفين بسبب القراءة عندما احتكموا إليه – صلى الله عليه وسلم – هكذا أنزلت ، ولذلك فقد رأينا كيف كان أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتحرون غاية التحري من أجل المحافظة على النص القرآني كما سمعوه من سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعلم ذلك من يقرأ أحاديث الأحرف السبعة ولو بأدنى تأمل ، مثلا : حديث عمر – رضي الله عنه – عند الشيخين فعن عمر – رضي الله عنه– قال : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان

---

١ سورة العنكبوت آية :٤٩

٢ – سورة يونس آية :١٥



علـى حـروف كثيـرة لـم يقرئنيهـا رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – فكـدت أسـاوره فـي الصـلاة فتصـبرت حتـى سـلم مـن الصـلاة فلببتـه بردائـه ، أي : أمسـكته مـن مجـامع ثيابـه ، فقلـت : مـن أقـراك هـذه السـورة التـي سـمعتك تقـرأ ؟ قـال أقرأنيهـا رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم فقلـت كـذبت فـان رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم اقرانيهـا علـى غير ما قرات .... الحديث

وأيضـا فقـد أجمعـت الأمـة علـى أن هـذا القـرآن إنمـا هـو كـلام الله لفظا ومعنى ، ولا دخل لمخلوق فيه إلا مجرد النقل والبلاغ وكفى.

أقـول : أفبعـد كـل مـا سـبق ، يبقـى لأحـد أدنـى متمسـك فـي القـول بما زعمه هؤلاء ،

الأفـاكون ، اللهـم إلا إذا كـان فـي دخيلـة أنفسـهم شـيء جعلهـم لا يـرون هـذه الحقـائق ، ويتناسـون تلـك المسـلمات ، فينطلقـون وراء أهـوائهم الخبيثـة ، ورغبـاتهم الدنيئـة ، محـاولين النيـل مـن قدسـية القـران الكـريم ، لكـن تقـف هـذه الحقـائق أمـامهم حـائط صـد يحـول بيـنهم وبـين مـا يريـدون ، وفـي نفـس الوقـت نقـول : مـا كـل هـذه الحقـائق إلا علـى سـبيل التأكيـد لقولـه تعـالى (إِنَّـا نَحْـنُ نَزَّلْنَـا الـذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1]

١ – سورة الحجر آية : ٩



الشبهة الثالثة

ومن شبههم أيضا يقولون : إن هذا الاختلاف في القراءات يوقع النفس في شك وريب ، خصوصا إذا لاحظنا في بعض الروايات معني تخيير الشخص أن يأتي من عنده بلفظ وما يرادفه، أو بلفظ وما لا يضاده في المعنى كحديث أبى بكرة ، وفيه كلها شاف كاف ما لم تختم آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب نحو قولك تعالى ، واقبل ، وهلم ، واذهب ، وأسرع ، وعجل. جاء بهذا اللفظ من رواية احمد بسند جيد ، ومثله حديث أبي كعب ، وأكثر من ذلك ما جاء في فضائل أبي عبيد أن عبد الله بن مسعود أقرأ رجلا : (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ، طَعَامُ الْأَثِيمِ)[1] ، فقال الرجل : طعام اليتيم ، فردها عليه ، فلم يستقم لسانه ، فقال : أتستطيع أن تقول : طعام الفاجر؟ قال : نعم. قال : فافعل٢.

والجواب

قلت : أولا : بادئ ذي بدء نحب أن نقول : إن اختلاف القراءات لا يوقع في شك ، ولا في ريب كما سبق ، لأن هذا الاختلاف ليس اختلاف تناقض وتضاد ، وإنما هو اختلاف تنوع وتغاير

ثانيا : هذا القول من هؤلاء إن دل على شيء إنما يدل على مدى جهلهم بقواعد ومبادئ علم الحديث ، والذي منه أنه لا يلزم

---

١١ سورة الدخان : آية :٤٣، ٤٤

٢ – سبق تخريج كل هذه الآثار قريبا



من صحة السند : صحة المتن[1] ، فلو سلمنا بصحة السند هنا ، لكنا لا نسلم بصحة المتن ، لأنه يعارض صريح نص القرآن ، قال تعالى : (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)[2] ، تأمل قوله سبحانه :(قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ) ، ثم تأمل ما دلت عليه هذه الروايات التي تمسكوا بها ، عندئذ تتأكد أن هذه الروايات معلولة بما يأتي على بنيانها من القواعد.

ثالثا : لو سلمنا بصحة هذه الروايات سندا فإنا نقول : بأنها موضوعة متنا ، لما هو مقرر لدى علماء الحديث من أنه من علامات الحديث الموضوع : معارضة الحديث لما علم بداهة من القران الكريم ، حتى لو صح السند ، إذ لا يلزم من صحة السند : صحة المتن ، فقد يكون ذلك من تركيب السند على المتن من بعض الملاحدة والزنادقة يقصد الطعن في كتاب الله عز وجل[3]

---

١ – منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر ص : ٢٩٠ دار الفكر، دمشق – سورية الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ –١٩٨١ م ، وعلم التخريج ودوره في حفظ السنة النبوية لمحمد محمود بكار ص : ٥٨ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، بدون تاريخ.

٢ سورة يونس آية : ١٥

٣ – يقول الأستاذ مصطفى السباعي : فقد وضع أئمة النقد من علماء الحديث علامات لمعرفة الحديث الموضوع، منها: «أن يكون متنه مخالفاً لبداهة العقول وللمقطوع به ==



رابعا : سلمنا أنه كان من الجائز في صدر الإسلام أن يقرأ الإنسان القران بما ييسر له ، لكن لا بالمرادف [1]، ولا بما لا يتنافى مع المنزل ، لكن هذا قد يكون في نطق بعض الحروف حتى تستقيم ألسنة القوم على النطق الصحيح لها ، حيث كانت بعض القبائل تنطق بعض الحروف بطريقة غير ما قد نزل به القرآن كقبيلة أسد التي كانت حاء حتى عينا، فيقرأون قوله تعالى مثلا : (فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ)[2] ، يقرأونها عتى حين[3] ، وحمير التي كانت تنطق لام أل ميما ومنه حديث ليس من امبر امصيام في امسفر ٤ .

قلت : وهذا مشاهد في أيامنا فالقاهري ينطق القاف همزة مثلا ، وفي بعض مدن الصعيد ينطقون الجيم دالا ، وهكذا حتى

==

من الدين أو التاريخ أو الطب أو غير ذلك» السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي ص ٤٩ المكتب الإسلامي – دار الوراق للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠ م

١ – سبق الرد على هذا.

٢ – سورة المؤمنون آية : ٢٥

٣ – الكشاف للزمخشري٣/ ٣١٩. والمحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ٢٤٣

٤ – أخرجه الشافعي في مسنده ١٥٧/١ في كتاب اختلاف الحديث وترك المعاد منها دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٠٠هـ ، والحميدي في مسنده – مسند عاصم الأشعري حديث رقم ٨٨٨ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار في كتاب الصيام – باب الصيام في السفر حديث رقم ٣٢١٤، وأحمد في مسنده مسنده – مسند عاصم الأشعري حديث رقم ٢٣٧٢٩، وقال محققه الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح



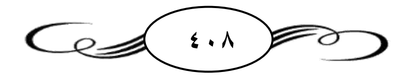
إذا قرأوا القرآن نطقوا هذه الحروف بالنطق الصحيح ، فلعل هذا كان هو الحاصل من العرب وقت إنزال القرآن ، وكان العرب يجدون من هذا مشقة نظرا لطول تعودهم على نطق الحرف بهذه الطريقة، ومن المعلوم أن العربي كان شديد التعصب لما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم ، فكيف يتنازل عن هذا الموروث ، وينتقل إلى ما قد ورثه غيره؟ ولا سيما إذا كان شيخا كبيرا ، أو عجوزا فانيا ، كما جاء في الأحاديث ، لكن في نفس الوقت لو أصر على ما قد ورثه ، سيكون قد أخطأ في حق كلام العليم الخبير ، هنا وجد العربي نفسه مضطرا إلى أن يتحول إلى النطق الصحيح ، لكنه في حاجة إلى وقت حتى تتعود الألسنة على ذلك ، على أنهم في هذا الوقت ، كانوا يخشون من الوقوع في الإثم إذا ما أخطأوا النطق الصحيح من غير قصد قطعا ، فأذن لهم في ذلك إذنا يتضمن رفع الحرج عنهم إلى أن تستقيم ألسنتهم.

خامسا : جاء في حديث عبد الله بن مسعود أقرأ رجلا : (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ، طَعَامُ الْأَثِيمِ)[1] فقال الرجل : طعام اليتيم ، فردها عليه ، فلم يستقم لسانه ، فقال : أتستطيع أن تقول : طعام الفاجر؟ قال : نعم. قال : فافعل

أقول : وهنا نتساءل من أين للعربي معرفة جواز النطق بهذه الطريقة التي يترتب عليها تغيير المعنى تماما؟ وكيف لابن مسعود أن يقره على هذا الخطأ الصراح؟ لكنك تعجب ، ويبلغ بك العجب

---

١ - سورة الدخان آية ٤٣، ٤٤



مـداه أن نجـد عربيـا لا يسـتطيع أن ينطـق : طعـام الأثـيم ، وإذا بـه ينطـق : طعـام اليتـيم فـأي صـعوبة فـي نطـق الأثـيم؟ وأي سـهولة جعلتـه ينطـق اليتـيم ؟ مـع أن هـذا وذاك مـن لغـة واحـدة ، لا مـن لغتين متغايرتين ، سبحان الله ، إن هذا لشيء عجيب.

سادسـا : سـلمنا جـدلا بصـحة هـذه الروايـة عـن ابـن مسـعود – رضـي الله عنـه – لكـن علـى اعتبـار أنـه رضـي الله عنـه – تلقـى الـروايتين عـن سـيدنا رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – يقـول الشـيخ الزرقـاني : أمـا هـذه الروايـة المنسـوبة إلـى ابـن مسـعود مـن أنـه أقـرأ الرجـل بكلمـة الفـاجر بـدلا مـن كلمـة الأثـيم فـي قـول الله تعـالى: (إِنَّ شَـجَرَتَ الزَّقُّـومِ طَعَـامُ الْأَثِـيمِ) فتـدل علـى أن ابـن مسـعود سـمع الـروايتين عـن رسـول الله– صـلى الله عليـه وسـلم. ولمـا رأى الرجـل قـد تعسـر عليـه النطـق بـالأولى أشـار عليـه أن يقـرأ بالثانيـة ، وكلاهما منزل من عند الله .[1].

<u>الشبهة الرابعة</u>

ومـن شـبههم أيضـا قـولهم : إن نـزول القـران علـى سـبعة أحـرف ينـافي مـا هـو مقـرر مـن أن القـرآن قـد نـزل بلغـة قـريش وحـدها، ثـم إنـه يـؤدي إلـى ضـياع الوحـدة التـي يجـب أن تسـود الأمـة الواحدة بسبب اجتماعهما على لسان واحد[2].

---

١ – مناهل العرفان ١/ ١٥٦

٢٢ –المرجع السابق ١/ ١٥٧



الجــواب

قلــت : لا نســلم أن القــران قــد نــزل بلغــة قــريش وحــدها ، وإنمــا انــتظم القــران مــن لغــة العــرب أجمعــين قــال تعــالى : (وَإِنَّــهُ لَتَنْزِيــلُ رَبِّ الْعَــالَمِينَ ، نَــزَلَ بِــهِ الــرُّوحُ الْأَمِــينُ ، عَلَــى قَلْبِــكَ لِتَكُــونَ مِــنَ الْمُنْــذِرِينَ ، بِلِسَــانٍ عَرَبِــيٍّ مُبِــينٍ)[1] ، وقــال ســبحانه : (إِنَّــا أَنْزَلْنَــاهُ قُرْآنَــا عَرَبِيًّــا لَعَلَّكُــمْ تَعْقِلُــونَ)[2] ، إلــى غيــر ذلــك مــن الآيــات الكريمــة التــي تــنص صراحة علـى أن القـرآن كتـاب عربـي ، ومـا لسـان قـريش إلا أحـد هـذه الألسنة.

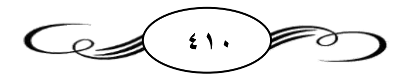
ثانيــا : أخــرج البخــاري وغيــره أن عثمــان، دعــا زيــد بــن ثابــت، وعبــد الله بــن الزبيــر، وســعيد بــن العــاص، وعبــد الــرحمن بــن الحــارث بــن هشــام فنســخوها فــي المصــاحف، وقــال عثمــان للــرهط القرشــيين الثلاثــة: «إذا اختلفــتم أنــتم وزيــد بــن ثابــت فــي شــيء مــن القــرآن، فــاكتبوه بلســان قــريش، فإنمــا نــزل بلســانهم ففعلــوا ذلــك[3] ويقصــد عثمــان رضــي الله عنــه أن أكثــر القــرآن نــزل بلســان قــريش ، لكــن لا مانع أن يكون فيه غير لسانهم .

---

١ – سورة الشعراء آية : ١٩٢ : ١٩٥

٢ – سورة يوسف آية : ٢

٣ – أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب باب نزل القرآن بلسان قريش حديث رقم ٣٥٠٦. والبيهقي في السنن الكبرى في جماع أبواب صفة الصلاة باب الدليل على أن ما جمعته مصاحف الصحابة رضي الله عنهم كله قرآن ٢/٦١. برقم : ٢٣٧٤



ثالثا : سلمنا أن القرآن الكريم قد نزل بلسان قريش لكن ذلك يرجع إلى ما تفرد به لسان قريش من بين ألسنة العرب ، ذلك لأن قريشا قد داوروا بينهم لغات العرب جميعا ، وتداولوها ، وأخذوا ما استملحوه من هؤلاء وهؤلاء في الأسواق العربية ، ومواسمها ، ووقائعها ، وحججها ، وعمرتها ، ثم استعملوه ، وأذاعوه بعد أن هذبوه ، وصقلوه ، وبهذا كانت لغة قريش مجمع لغات مختارة منتقاة بين لغات القبائل كافة ، وكان هذا سببا من أسباب انتهاء الزعامة إليهم واجتماع أوزاع العرب عليهم[1]

وهذه الخاصية التي أتيحت للسان قريش لم تتح لغيره من ألسنة العرب نظرا لما تميزوا به من سائر الناس بالحرم ، وما يتعلق به من حج وعمرة وغيرهما ، فكان لسانهم بحق أجمع ألسنة العرب ، وأدقها ، وأعلاها فصاحة وبلاغة ، فصار لسانهم بالنسبة لألسنة العرب كالفؤاد بالنسبة لسائر البدن ، وكالمنارة المشرقة التي تتطلع إليها الأبصار من كل حدب وصوب ، فإذا كان الحرم الذي سكنوه قبلة للقلوب حيث كانت ، فإن لسانهم قد أصبح قبلة لألسنة العرب جميعا الذي يمكن أن تجتمع عليه العرب ، وترضى به إماما وقائدا ، ومن هنا يظهر لنا أن اللسان العربي المتمثل في لسان قريش لا يذهب أبدا بوحدة الأمة ، بل يجمعها ، ويوحدها خلافا لما زعمه هؤلاء الزاعمون .

---

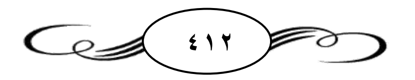
١ – مناهل العرفان للزرقاني ١ /١٩٠



رابعا : قلت : هذه الدعوى من القوم يكذبها الواقع ذلك لأن القوم لا يتحدثون عن نتائج سوف تحدث في المستقبل حتى يصبح في الأمر مجالا لتكهنات من هذا وذاك يمكن للأحداث القادمة أن تصدقها ، أو تكذبها فيخشى خطرها ، لكن الذي غاب عن أفهامهم وعقولهم ، إنهم يتحدثون قد أمر قد مضى وانتهى ، وما أنتج هذا الوهم الذي وهموه ، بل كان القرآن بحق مصدر وحدة العرب واجتماعهم ، وبعد أن كانوا قبائل متناحرة متفرقة ، أصبحوا دولة عظيمة أقضت مضاجع أعظم دولتين في ذلك الوقت أعني دولتي : الفرس والروم حتى قال أحد قادة الفرس يوما لأحد العرب : ما الذي جعلكم أيها الأعراب تطمعون في أرضنا وبلادنا ، وقد كان أقصى أمركم أن إذا خرج علينا منكم أحد أن نبعث قلة من أتباعنا من العرب ليردوه إلينا[1] ؟ ، لكن يبدوا أن هؤلاء لم يقرأوا التاريخ لا من قريب ، ولا من بعيد حتى لكأنهم قد أتوا من كوكب آخر أو يتحدثون عن كتاب لم ينزل بعد ، ويحاولون أن يقرأوا الآثار التي يمكن أن ترتب على تكليف الناس به ، وهذه دائما وأبدا حماقة الكفر وغباؤه لا يعقل ولا يفهم ، يا سادة إنه لا شيء من ذلك كله قد حدث اللهم إلا الحقد ، والحسد ، والعداوة التي

---

١ – انظر القصة كاملة في البداية والنهاية لا بن كثير ٧/٤١ دار الفكر ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م ، وتاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري ٣ / ٤٩٩ بتصرف دار التراث – بيروت الطبعة الثانية – ١٣٨٧ هـ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٢٩٣ دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م



سرت في قلوبهم ، وأعصابهم ، وعروقهم وبشدة بحيث جعلهم يعيشون بعيدا عن الواقع ، أو كأن القوم في غيبوبة عقلية لا إفاقة بعدها

يا قوم إن هذا الكتاب قد نزل منذ ما يزيد عن ألف وأربعمائة عام ، وما حدث الذي قلتم ، والزعم الذي زعمتم ، لا تقلقوا على قبائل العرب ، ولا تنزعجوا على وحدتها ، نقدر لكم هذا الشعور النبيل ، والحس المرهف ، ونزف إليكم البشرى ، لم يحدث شيء مما قلتم ، اللهم إلا أن يكون في عالم الأحلام ، أو الخيال ، وهل يؤخذ من الأحلام والخيال حكم ؟

الشبهة الخامسة

ومن شبههم كذلك قولهم : إنه لا معني للأحرف السبعة التي نزل بها القرآن إلا تلك القراءات السبع المنقولة عن الأئمة السبعة عند القراء [1].

الجواب

قلت : أولا : وهذه الشبهة أيضا تدل على جهل هؤلاء القوم بالواقع والتاريخ ذلك لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا قد خلقوا حين نزول القرآن على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ الزرقاني : ومحال أن يفرض الرسول – صلى الله عليه وسلم – على نفسه وعلى أصحابه ألا يقرأوا بهذه الأحرف

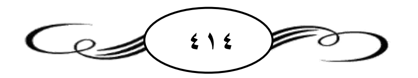
١ - المرجع السابق ١/ ١٥٨



السبعة ، إلا إذا علموا أن هؤلاء القراء السبعة قد اختاروا القراءة بها ، على حين أن بين العهدين بضعة قرون[1] ، وعلى حين أن هؤلاء القراء وسواهم إنما أخذوا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من طريق أصحابه ، ومن أخذ عنهم إلى أن وصلوا إليهم ، فهذه الشبهة تستلزم الدور الباطل فهي باطلة وتستلزم أيضا أن يبقى قول النبي – صلى الله عليه وسلم – إن هذا القران قد أنزل على سبعة أحرف ، عاريا عن الفائدة ، غير نافذ الأثر ، حتى يولد القراء السبعة المعروفون ، وتؤخذ القراءة عنهم ، وذلك باطل أيضا يكذبه الواقع من قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم – وقراءة أصحابه ، وتابعيه بالأحرف السبعة قبل أن يولد القراء السبعة المعرفون ثم استشهد الشيخ بعبارة ابن الجزرى التي تؤكد صدق ما ذكر .

١ – القرن الوقت من الزمان يقال هو أربعون سنة، وقالوا: هو ثمانون سنة، وقالوا: مائة سنة؛ قال أبو العباس: وهو الاختيار لما تقدم من

؛ قال أبو إسحق: القرن ثمانون سنة، وقيل: سبعون سنة، وقيل: هو مطلق من الزمان، وهو مصدر قرن يقرن؛ قال الأزهري: والذي يقع عندي، والله أعلم، أن القرن أهل كل مدة كان فيها نبي أو كان فيها طبقة من أهل العلم، قلت السنون أو كثرت، والدليل على هذا قول النبي، صلى الله عليه وسلم: خيركم قرني، يعني أصحابي، ثم الذين يلونهم، يعني التابعين، ثم الذين يلونهم ، يعني الذين أخذوا عن التابعين، لسان العرب لابن منظور ١٣/ ٣٣٤. والحديث أخرجه أحمد برقم ٤١٧٣ .بإسناد صحيح.



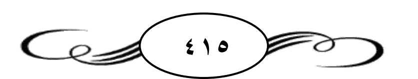
سبق قلم من الشيخ الزرقاني رحمه الله

قلت : ما ذكره الشيخ الزرقاني من أن بين هؤلاء القراء السبعة ، وبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بضعة قرون قول فيه بعد ، حتى لو قلنا : إن القرن هو الجيل ، لأن ابن عامر مثلا هو عبد الله اليحصبي[1] هو تابعي جليل ، لقي وائلة بن الأسقع ، والنعمان ، بن بشير وأخذ القراءة عن المغيرة بن شهاب المخزومى ، عن عثمان بن عفان ، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم . وأما عبدالله بن كثير[2] ، فهو تابعي أيضا لقي من الصحابة عبدالله بن الزبير ، وأنس بن مالك ، وأبا أيوب الأنصاري ، وقرأ على عمر بن الخطاب ، وأبي بن كعب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – وتوفي بمكة سنة ١٢٠ هـ وأما أبو

---

١ – ابن عامر هو أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي، إمام جامع دمشق وقاضيها وشيخ الإقراء بها، إمام كبير وتابعي جليل؛ ولد سنة إحدى وستين ومات سنة مائة وثمان عشرة. شرح طيبة النشر في القراءات لابن الجزري، ص :١٠

٢ – ابن كثير هو أبو سعيد عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان ابن فيروزان بن هرمز الداري المكي إمام الناس في الإقراء بمكة. ولد سنة خمس وأربعين، وكان فصيحا بليغا أبيض اللحية طويلا أسمر جسيما، يخضب بالحناء ذا سكينة ووقار، لقي بعض الصحابة، ومات سنة مائة وعشرين. المرجع السابق ص : ٩



عمرو[1] :فهو زبان بن العلا بن عمار البصري ، روى عن مجاهد، وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وعن أبى بن كعب عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتوفي ١٥٤هـ وعاصم ، مات سنة مائة وسبع وعشرين[2]. وحمزة[3] مات سنة مائة وست وخمسين .وهكذا.

والقول بأنه يلزم على هذا القول أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ بهذه القراءات إلا إذا علموا أن هؤلاء السبعة سوف يقرأون بها.

يمكن أن يرد عليه بالقول : بأن هؤلاء الصحابة ، ومن قبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد قرأوا بما قد أطلق عليه فيما بعد : القراءات السبعة التي اشتهر بها هؤلاء القوم ، أو

---

١ – أبو عمرو هو زبان بن العلا بن عمار بن العريان بن عبد الله المازني البصري، اختلف في اسمه كثيرا، كان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الثقة والأمانة والدين. ولد سنة ثمان وستين ومات سنة مائة وخمس وخمسين. المرجع السابق ص : ٩

٢ – عاصم: هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود بهدلة الأسدي مولاهم الكوفي، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد السلمي جلس موضعه ورحل إليه العالم من الأقطار، جمع بين الإتقان والفصاحة والتجويد وحسن الصوت، مائة وسبع وعشرين. المرجع السابق ص : ١١ وانظر ترجمته في معرفة القراء الكبار ١/ ٨٨ – ٩٤، وفيات الأعيان (/ ٩.

٣ – حمزة : هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي الزيات. ولد سنة ثمانين، وكان إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش، وكان ثقة كبيرا حجة مجوّدا فرضيّا نحويّا حافظا للحديث، ورعا زاهدا خاشعا ناسكا، مات سنة مائة وست وخمسين، المرجع السابق ص : ١١ مترجم له في ميزان الاعتدال ١/ ٦٠٥، شذرات الذهب ١/ ٢٤٠.



بعبارة أخرى : أنهم قد قرأوا بما قد عرف فيما بعد بالقراءات السبعة ، وإنما الجواب الصحيح على ذلك فيما أرى أن القراءات المنزلة ، والمنقولة إلينا بالتواتر أكثر من القراءات السبعة ، وعليه ، فإن القول بذلك يترتب عليه ترك شيء من القرآن المنزل، وهو ما لا يقول به مسلم قط. وقد سبق الرد على هذه الشبهة [1]

والله أعلم

١ – ارجع إلى القول السابع في بيان المراد من الأحرف السبعة.



الخاتمة

وبعد هذه الجولة مع هذا الموضوع الشيق نخلص إلى ما يأتي:

- أن موضوع الأحرف السبعة من أهم موضوعات علم علوم القرآن الكريم.

- أن هذا الموضوع نال اهتمام العلماء من المفسرين والقراء والمحدثين وغيرهم.

- أن البحث في هذا الموضوع شائك وشائق.

- أن الأحرف السبعة منزلة بالوحي .

- ليس لسيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دخل في القرآن الكريم إلا مجرد البلاغ والبيان.

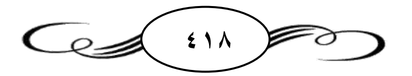
- أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرف المقصود من الأحرف السبعة ، وكذلك الصحابة.

- أن الغرض من إنزال القرآن على سبعة أحرف هو التيسير سواء أكان ذلك في النطق أم في البلاغة

- أن الأمة كانت مخيرة في القراءة بأي حرف تعلموه.

- أن نزول القرآن على سبعة أحرف من أوجه إعجاز القرآن الكريم.

- القول الراجح في الأحرف السبعة هو أوجه التغاير الحاصل بين الكلام العربي الحسن.



- أن الأحرف السبعة باقية إلى يومنا هذا.

- أن كل مصحف من المصاحف العثمانية مشتمل على ما يحتمله رسمه من الأحرف السبعة.

- ما يردده المستشرقون وأذنابهم محض زيف وافتراء.

- بيان جهل أعداء الإسلام بقدر القرآن العظيم ، وأنهم يهرفون بما لا يعلمون.

- أن أعداء القرآن تطغى العداوة على بصيرتهم فصاروا يرددون جهلا مستقبحا.

- ضرورة الاهتمام بالدراسات القرآنية ، وكشف النقاب عن روعة القرآن وبلاغته.

- العناية بكتب التراث ، والتنبيه على ما قد ورد فيها من روايات غير صحيحة.

- العمل على بيان وتوضيح الروايات التي قد يؤدي تركها بدون شرح وبيان إلى حدوث سوء فهم لدى البعض.

أهم المراجع

– القرآن الكريم.

– الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، نشر: دار إحياء العلوم، بيروت ١٩٨٧ م.

– أحكام القرآن، عماد الدين ابن الطبري المعروف بالكياالهراسي، تحقيق: موسى محمد علي، ود. عزت عطية، نشر: دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٧٤ م.

– أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت.

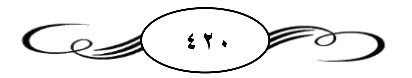
– أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي، تحقيق: محمد علي البجاوي،دار المعرفة، بيروت.

– أحكام القرآن، لأبي عبد الله الشافعي، جمع: أبي بكر البيهقي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥ م.

– الأدب المفرد، لأبي عبد الله البخاري المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٨٨ هـ.

– أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، نشر: دار القبلة، جدة– الرياض ١٩٨٤ م.

– إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٩٨٥ م.



- إملاء ما من به الرحمن، لأبي البقاء العكبري، مصورة: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩ م.

- الأنساب، لأبي سعد السمعاني، نشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الهند ١٩٦٢ - ١٩٨٢ م.

- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار المعرفة، بيروت.

- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين الأصفر، نشر: المكتب الإسلامي، دار الإشراق، بيروت ١٩٨٩ م.

- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٩٨١ م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرين، نشر: وزارة الإرشاد الإعلام، الكويت ١٩٦٥ - ١٩٨٤ م.

- التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية، دار الطباعة المحمدية، مصر ١٩٦٨ م.

- التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥ م.

- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس ١٩٨٤ م. م.



- تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، مصورة: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨ م.

- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء ابن كثير، دار الفكر، بيروت ١٩٧٠ م.

- تفسير الماوردي النكت والعيون. تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان بدون تاريخ.

- تفسير النسائي، (جزء من السنن الكبرى)، تحقيق: سيد الجليمي، وصبري الشافعي، مكتبة السنة، القاهرة ١٩٩٠ م.

- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، نشر: دار الرشيد، حلب ١٩٨٨

- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، تحقيق: أوتو برتزل، جمعية المستشرقين الألمانية، استانبول ١٩٣٠ م مكتبة المثنى، بغداد.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر الطبري، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٦٨م.

- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، مصورة: دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٥ م.

- الجامع، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨ م.



- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣ م.

- دلائل النبوة، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥ م.

- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج بن الجوزي، المكتب الإسلامي، دمشق- بيروت ١٩٦٤ م.

- السبعة في القراءات، لأبي بكر بن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م.

- السنة، لأبي بكر بن أبي عاصم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق ١٩٨٠ م.

- السنة، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق: سالم بن أحمد، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٨٨ م.

- السنن الكبرى، لأبي بكر البيهقي، دار المعرفة ببيروت عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد ١٣٥٥ هـ.

- السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١ م.

- السنن، لأبي الحسن الدارقطني، تحقيق: عبد الله هاشم يماني، دار المحاسن، القاهرة ١٩٦٦ م



- السنن، لأبي داود السجستاني، تحقيق: عزت الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، حمص ١٩٧٤ م.

- السنن، لأبي عبد الرحمن النسائي، اعتناء: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٩٨٦ م.

- السنن، لأبي عبد الله بن ماجة، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت ١٩٩٨

- شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٤ م.

- شعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠ م.

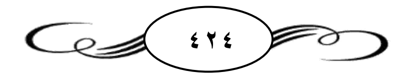
- الصحيح، لأبي بكر بن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٧٩ م.

- الصحيح، لأبي عبد الله البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار القلم، دمشق- بيروت ١٩٨١ م.

- الصحيح، لمسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول.

- فتح الباري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت عن طبعة محب الدين الخطيب.

- فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة ١٩٩٧ م.



- الكشاف عن حقائق التنزيل، لجار الله الزمخشري، دار المعرفة، بيروت

- لباب النقول في أسباب النزول، لجلال الدين السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت ١٩٧٩ م.

- لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت.

- مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١ م.

- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١ م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي، تحقيق: الرحالي الفاروقي وآخرين، دولة قطر ١٩٧٧ م.

- مختصر تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، تتمة وتعليق: محمد أحمد كنعان، المكتب الإسلامي، دمشق- بيروت ١٩٨٤ م.

- المراسيل لأبي داود السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٨ م.

- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي، دار المعرفة، بيروت.



- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٩٠ م).

- مسند الشاميين لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩ - ١٩٩٦ م.

- المسند لأبي داود الطيالسي، دار الكتاب اللبناني- دار التوفيق، بيروت، دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد، الهند.

- المسند لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، مصورة المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٧٨ م، ونشرة الشيخ أحمد محمد شاكر (أنبه عليها في مواضعها)، ونشرة مؤسسة الرسالة بتحقيق: شعيب الأرنؤوط ومجموعته، (والعزو إليها يتميز بأرقام الأحاديث).

- المسند، لأبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٨٤ - ١٩٨٨ م.

- المصاحف لأبي بكر بن أبي داود السجستاني، تحقيق: د. آثر جفري، المطبعة الرحمانية سنة ١٩٣٦ م.

- المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني وغيره، الدار السلفية، بومباي، الهند ١٩٨٣ م، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥ م

- المصنف لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، باكستان- الهند ١٩٧٠ - ١٩٧٢ م.



- معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، دار طيبة، الرياض ١٩٩٧ م.

- المعجم الأوسط لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض ١٩٨٥ - ١٩٩٥ م.

- المعجم الصغير لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٨٦ م.

- المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، نشر: وزارة الأوقاف، بغداد ١٩٧٨ - ١٩٨٣ م.

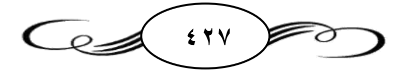
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨١ م.

- المغني، لأبي محمد بن قدامة المقدسي، نشر: مكتبة الرياض

- الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٠ م.

- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: محمد عبد الله دراز، دار الباز، عن طبعة المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، رواية: يحيى الليثي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٦م.



- الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٨ م.

- الناسخ والمنسوخ، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: محمد بن صالح المديفر، نشر: مكتبة الرشد، الرياض ١٩٩٠ م.

- النشر في القراءات العشر، لأبي الخير ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الفكر، بيروت.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، دائرة المعارف العثمانية، الهند ١٩٦٩ م.

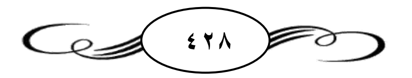
- نكت الانتصار لنقل القرآن، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٧١ م.

- نواسخ القرآن، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد أشرف الملباري، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٩٨٤ م.

- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: صفوت عدنان داودي، دار القلم، دمشق- الدار الشامية، بيروت ١٩٩٥ م.

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤ م.

وهناك مراجع أخرى تعلم من خلال مطالعة البحث.



فهرس الموضوعات